كتاب الراصد ٢

حزب الله تحت المجهر

رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع ايران واسرائيل



اعداد الباحث في العلاقات الدولية

علي حسين باكير

www.alrased.net

تقديم مجلة الراصد

رغم كثرة الأبحاث والدراسات والمقالات التي تناولت موضوع حزب ا ، إلا أن هذا الموضوع لا يزال بحاجة لكثير من الدراسات والأبحاث الجادة التي تقدم المعلومة الصحيحة في السياق الصحيح !!

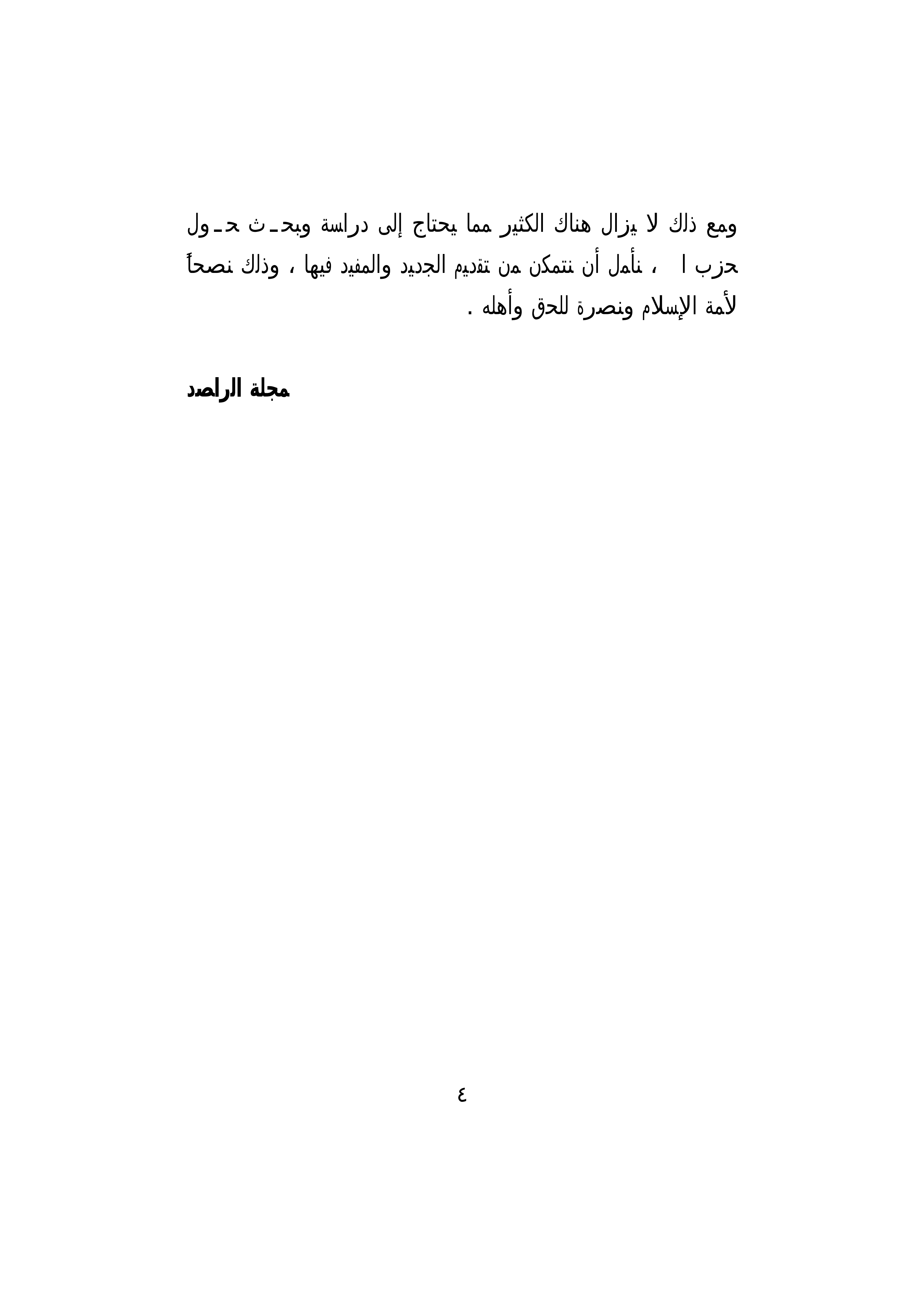
وذلك أن غالب ما كتب عن حزب ا لا يخرج عن كونه أحد ثلاثة احتمالات :

١- كتابة عاطفية مؤيدة للحزب سواء من كوادره ومؤسساته أو مناصريه الكثر على تنوع مشاربهم من الشيعة و السنة إلى فلول اليسار والعلمانية .

٢- كتابة من منطلق سياسي بحت ، تغفل الجانب العقدي والديني للحزب ، وقد تكون مؤيدة أو نقدية .

٣- كتابة تحذيرية من الحزب من منطلق شرعي وعقدي صحيح ، لكن مع قصور في الجانب السياسي والواقعي .

ويأتي اختيار الراصد لنشر هذا البحث لكونه جمع بين الجانبين الديني والعقدي للحزب مع تحليل سياسي علمي شامل لسياسة وحركة الحزب، لا ندعي الكمال والصحة المطلقة لنتائج هذا البحث ، لكن نؤكد أنه قدم الكثير من المعلومات المهمة والكثير من النتائج الجديدة على الباحثين في شؤون حزب ا .



ومع ذلك لا يزال هناك الكثير مما يحتاج إلى دراسة وبحـ ث حـ ول حزب ا ، نأمل أن نتمكن من تقديم الجديد والمفيد فيها ، وذلك نصحاً لأمة الإسلام ونصرة للحق وأهله .

مجلة الراصد

مقدمة

يعتبر موضوع "حزب ا " والمشروع الإقليمي الإيراني مـن المواضـيع الساخنة التي تجري نقاشات عنيفة وحادة حولهـا اليـوم فـي العـالم العربـي والإسلامي.

ومن الملاحظ أيضاً أن صورة "حزب ا " وإيران تثير لغطاً كبيـراً بـين الناس؛ فمنهم من لا يعرف شيئاً، ومنهم من اتّبع هواه وعاطفته، و منهم من اتّخذ موقفاً مضاداً لهما دون الإطلاع على أي من خلفياتهما، ومنهم من أيدهما لمجرد حادثة أو واقعه معينة ، وفيهم من فعل ذلك عن جهل و فيهم من فعل ذلك عـن قصد، والأمور تختلف باختلاف خلفيات الناس وثقافتهم ومدى اطلاعهـم علـى خصوصية الحزب وحقيقته وعلى المشروع الإيراني و دور الحزب فيه.

ويهمنا أن نقول إن هذه الدراسة تهدف إلى التركيز على حزب ا اللبنـاني بالدرجة الأولى على أن تناول طبيعة دور حزب ا في:

١- المشروع الإقليمي الإيراني.

٢- القواعد التي تحكم العلاقة بين حزب ا و إسرائيل.

٣- موقف الحزب من مشاريع المقاومة الإسلامية الأخرى.

٤- حرب تموز ٢٠٠٦ و تداعياتها.

على أن تتم إعادة صياغة و تحليل الأحداث وفق الرؤية الشمولية الجامعة، وهي عبارة عن أطروحة ورؤية قابلة للنقاش والأخذ والرد ولا ندعي عـصمتها مع تأكيدنا على كل ما ورد فيها والذي سنترك للتاريخ الحكم علـى صـحته أو عدمه.

كما ونؤكّد أيضا خلال تناولنا لمسيرة حزب ا و دوره و علاقتـه مـع إيران، إن هذا البحث لا يصلح مع:

١- من هو مقتنع بنظرته الخاصة عن حـزب ا و لا يقبـل مراجعتهـا أو نقاشها.

٢- من يعتمد التحليل المجتزأ للأحداث و الذي يركز علـى أجـزاء صـغيرة متباعدة زمنياً.

٣- من يصر على فصل الأحداث والسياق العام للحـزب وعلاقاتـه وأدواره الخارجية.

٤- من هو غير مطّلع نهائياً على أي من مصادر حزب ا نفسه مـن كتـب ودراسات وتصريحات وعقيدة في سياقها الطبيعي.

٥- من يريد أن يرى حزب ا من خلال ما يعتقد عنه (أي الأهواء) وليس من خلال ما يتم برهانه بالعقل والمنطق والنص وبالأدلة القطعية.

وعليه، فان البحث يحتوي على مقدمة وأربعة أقسام تليها خاتمة.

- القسم الأول بعنوان: "علاقة حزب ا بالمشروع الإيراني"، وفيه نعرض لطبيعة المشروع الإقليمي الإيراني ودور حزب ا اللبناني فـي هـذا الإطـار وارتباطه بالولي الفقيه من الناحية الشرعية و السياسية.

- القسم الثاني بعنوان: "حزب ا و الكيان الصهيوني"، و فيه نعـرض و نناقش لحقيقة موقف الحزب من إسرائيل منذ إنشائه في العـام ١٩٨٥ وحتـى اليوم، وذلك عبر التطرق إلى جولات المعارك والاتفاقات الشفهية والخطية التي حصلت بين الطرفين وما نتج عنها حتى العام ٢٠٠٦.

- القسم الثالث: وهو بعنوان "موقف حزب ا من مـشروعات المقاومـة الإسلامية"، و نتناول فيه الموقف الحقيقي لحزب ا من مـشروعات المقاومـة الإسلامية المشروعة في العالم الإسـلامي ولا سـيما فـي العـراق وعلاقتـه

بالمشروع الإيراني، و علاقة ذلك بالتناقض الحاصل بينه وبين الموقـف مـن المقاومة الفلسطينية.

- القسم الرابع: وهو بعنوان "حرب تموز ٢٠٠٦ و تداعياتها" وفيها نعرض بما يتصل والسياق العام للبحث لطبيعة ما جرى في تلك الحـرب والتناقـضات الحاصلة فيما يتعلق بإعلان النصر فيها عبر مقاربة النتائج العملية التي تمخّضت عن قرار دولي، والنتائج النظرية التي تمخضت عن إعلان نصر إلهي، للتوصل إلى تحديد حقيقة الموضوع و غاياته.

وذلك بناء على المخطط التالي:

- مقدمة:
- تمهيد: لماذا التحليل الشمولي و ليس المجتزأ؟!
- **القسم الأول: حزب ا و المشروع الإيراني**

أولا: ماهية المشروع الإيراني

ثانيا: طبيعة العلاقة بين حزب ا و إيران

١- التبعية الدينية و السياسية للولي الفقيه

٢- إنشاء حزب ا و دوره في المشروع الإيراني

- **القسم الثاني: حزب ا و الكيان الصهيوني**

أولا: الفترة الممتدة بين ١٩٨٩ و ٢٠٠٠.

ثانيا: الفترة الممتدة بين ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦ (ما قبل الحرب الأخيرة).

- **القسم الثالث: موقف حزب ا من مشاريع المقاومة الإسلامية الأخرى**

أولا: الجبهة الشيشانية.

ثانيا: الجبهة الأفغانية والعراقية.

- **القسم الرابع: حرب تموز ٢٠٠٦ و تداعياتها**
- **خاتمة**

تمهيد

لماذا التحليل الشمولي وليس المجتزأ؟! *

من الملاحظ أن غالبية الكتابات، التحليلات، الأبحاث التي تتناول حزب ا تستند عادة إلى مبدأ التحليل الانتقائي أو المجتزأ، فتظهر هذه الكتابات لتتنـاول حدثاً بعينه أو معركة بعينها في مكان وزمان محدد، فتـأتي متـأثرة بالناحيـة العاطفية والنفسية، بالإضافة إلى الزخم الإعلامي بعيداً عن الموضوعية والسياق الشمولي. لذلك يجد الكاتب نفسه مضطراً في كل مرة إلى تغيير وتعـديل بـل وحتى "لي" كتاباته باتجاهات متناقضة يناقض بعضها بعضاً في كل حالة نظـراً للاختلافات الآنية التي تحصل في كل مرة.

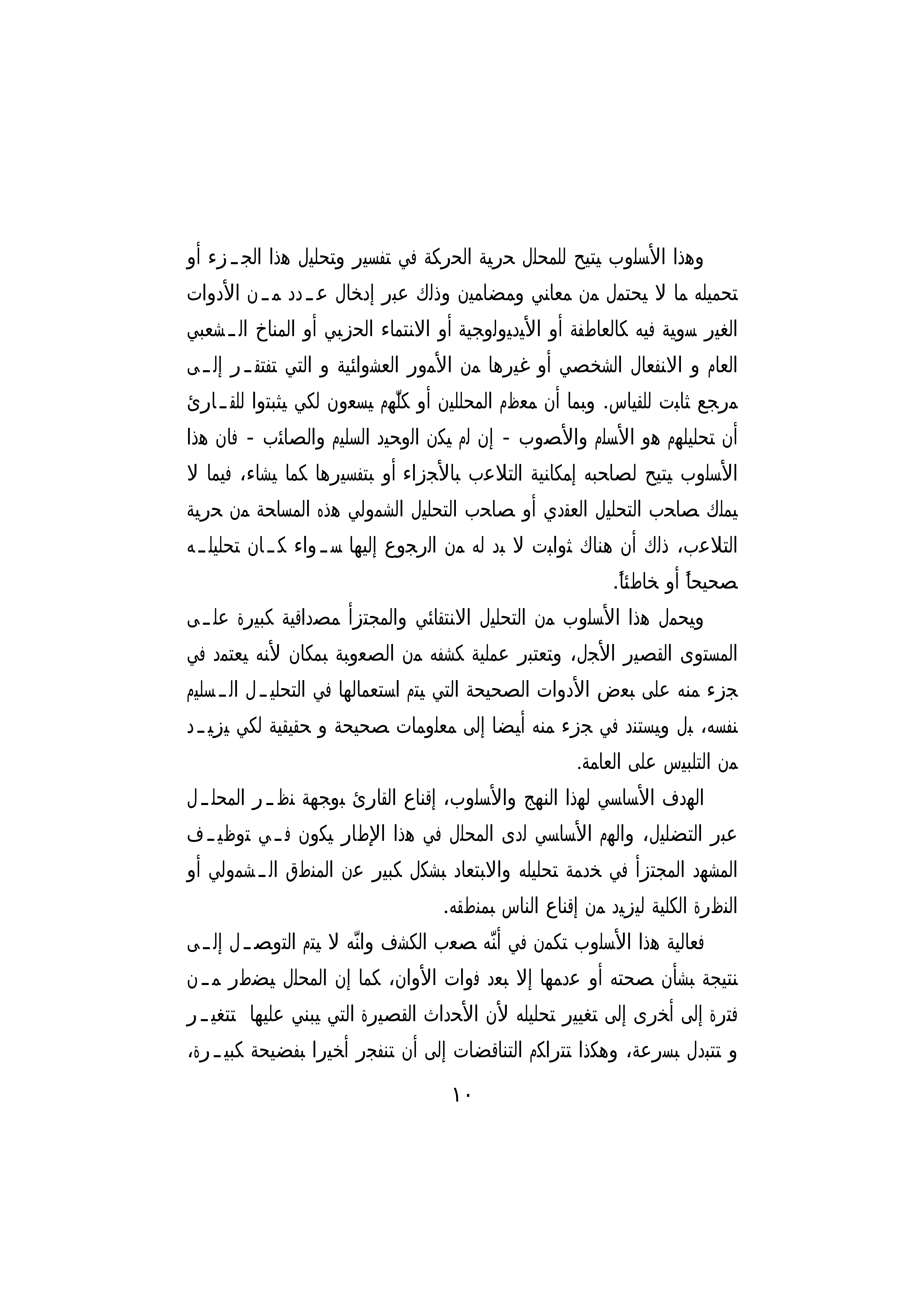
وعليه فإننا نعرض في التمهيد لمخاطر الاعتماد على التحليل المجتزأ فـي تناول وتحليل سيرة "حزب ا " وعلاقته بالداخل والخارج، وضرورة الاعتمـاد على السياق الشمولي المتسلسل الذي يشكل عماد بحثنا والذي يعطـي صـورة أوضح وأدق للأحداث، مستفيداً من تراكم المعلومات والتجـارب بعيـداً عـن العواطف والإعلام الموجه.

- **ماهية التحليل الانتقائي و المجتزأ:**

التحليل الانتقائي والمجتزأ هو أسلوب يستخدمه العديد من المحللـين يقـوم على تقسيم الظواهر أو الأحداث التي يراها المحلل إلى أقسام صغيرة معزولـة عن واقعها العام وعن كليتها وعن المفهوم الشمولي والسياق الذي أتت منه وفيه، فينظر إلى الأحداث على أنها مربعات مفصولة عن بعضها الـبعض لا علاقـة لأحدها بالآخر ولا علاقة لها بما سبقها و لا بما هو لاحق بها.

---

* يلزم التنويه هنا أن هذا الفصل سبق نشره في التقرير الإرتيادي الرابع لمجلة البيان .

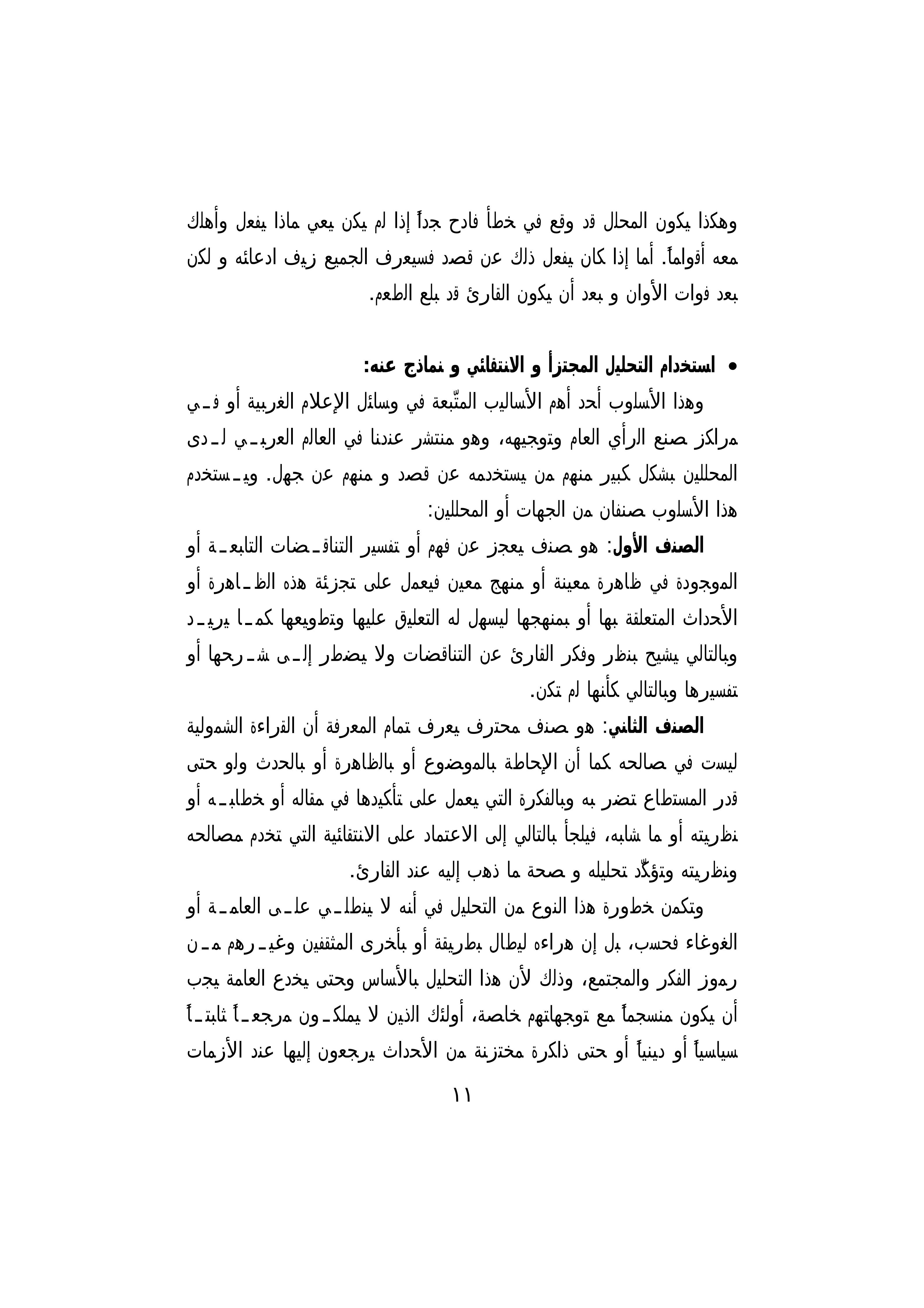


وهذا الأسلوب يتيح للمحلل حرية الحركة في تفسير وتحليل هذا الجزء أو تحميله ما لا يحتمل من معاني ومضامين وذلك عبر إدخال عدد من الأدوات الغير سوية فيه كالعاطفة أو الأيديولوجية أو الانتماء الحزبي أو المناخ الشعبي العام و الانفعال الشخصي أو غيرها من الأمور العشوائية و التي تفتقر إلى مرجع ثابت للقياس. وبما أن معظم المحللين أو كلّهم يسعون لكي يثبتوا للقارئ أن تحليلهم هو الأسلم والأصوب - إن لم يكن الوحيد السليم والصائب - فان هذا الأسلوب يتيح لصاحبه إمكانية التلاعب بالأجزاء أو بتفسيرها كما يشاء، فيما لا يملك صاحب التحليل العقدي أو صاحب التحليل الشمولي هذه المساحة من حرية التلاعب، ذلك أن هناك ثوابت لا بد له من الرجوع إليها سواء كان تحليله صحيحاً أو خاطئاً.

ويحمل هذا الأسلوب من التحليل الانتقائي والمجتزأ مصداقية كبيرة على المستوى القصير الأجل، وتعتبر عملية كشفه من الصعوبة بمكان لأنه يعتمد في جزء منه على بعض الأدوات الصحيحة التي يتم استعمالها في التحليل السليم نفسه، بل ويستند في جزء منه أيضا إلى معلومات صحيحة و حقيقية لكي يزيد من التلبيس على العامة.

الهدف الأساسي لهذا النهج والأسلوب، إقناع القارئ بوجهة نظر المحلل عبر التضليل، والهم الأساسي لدى المحلل في هذا الإطار يكون في توظيف المشهد المجتزأ في خدمة تحليله والابتعاد بشكل كبير عن المنطق الشمولي أو النظرة الكلية ليزيد من إقناع الناس بمنطقه.

فعالية هذا الأسلوب تكمن في أنّه صعب الكشف وانّه لا يتم التوصل إلى نتيجة بشأن صحته أو عدمها إلا بعد فوات الأوان، كما إن المحلل يضطر من فترة إلى أخرى إلى تغيير تحليله لأن الأحداث القصيرة التي يبني عليها تتغير و تتبدل بسرعة، وهكذا تتراكم التناقضات إلى أن تنفجر أخيرا بفضيحة كبيرة،



وهكذا يكون المحلل قد وقع في خطأ فادح جداً إذا لم يكن يعي ماذا يفعل وأهلك معه أقواماً. أما إذا كان يفعل ذلك عن قصد فسيعرف الجميع زيف ادعائه و لكن بعد فوات الأوان و بعد أن يكون القارئ قد بلع الطعم.

- **استخدام التحليل المجتزأ و الانتقائي و نماذج عنه:**

وهذا الأسلوب أحد أهم الأساليب المتّبعة في وسائل الإعلام الغربية أو في مراكز صنع الرأي العام وتوجيهه، وهو منتشر عندنا في العالم العربي لدى المحللين بشكل كبير منهم من يستخدمه عن قصد و منهم عن جهل. ويستخدم هذا الأسلوب صنفان من الجهات أو المحللين:

الصنف الأول: هو صنف يعجز عن فهم أو تفسير التناقضات التابعة أو الموجودة في ظاهرة معينة أو منهج معين فيعمل على تجزئة هذه الظاهرة أو الأحداث المتعلقة بها أو بمنهجها ليسهل له التعليق عليها وتطويعها كما يريد وبالتالي يشيح بنظر وفكر القارئ عن التناقضات ولا يضطر إلى شرحها أو تفسيرها وبالتالي كأنها لم تكن.

الصنف الثاني: هو صنف محترف يعرف تمام المعرفة أن القراءة الشمولية ليست في صالحه كما أن الإحاطة بالموضوع أو بالظاهرة أو بالحدث ولو حتى قدر المستطاع تضر به وبالفكرة التي يعمل على تأكيدها في مقاله أو خطابه أو نظريته أو ما شابه، فيلجأ بالتالي إلى الاعتماد على الانتقائية التي تخدم مصالحه ونظريته وتؤكّد تحليله و صحة ما ذهب إليه عند القارئ.

وتكمن خطورة هذا النوع من التحليل في أنه لا ينطلي على العامة أو الغوغاء فحسب، بل إن هراءه ليطال بطريقة أو بأخرى المثقفين وغيرهم من رموز الفكر والمجتمع، وذلك لأن هذا التحليل بالأساس وحتى يخدع العامة يجب أن يكون منسجماً مع توجهاتهم خاصة، أولئك الذين لا يملكون مرجعاً ثابتاً سياسياً أو دينياً أو حتى ذاكرة مختزنة من الأحداث يرجعون إليها عند الأزمات

أو التعقيدات، أما المثقف فهو إما أن يوافق على توجه العامة في هذه الحالة فيفقد أهميته الشخصية ورأيه الذاتي و نظرته للأمور (كمن ينزل إلى مظاهرة، عندها سيفقد شخصيته الذاتية وسيندمج مع المتظاهرين بل و سيتصرف وفـق الإرادة الجماعية فيلتغي دوره، وقد يقوم بأعمال أو يوافق على آراء ما كان ليتبناها لـو كان خارج المظاهرة ... حاولوا أن تنزلوا ولو مرة في مظاهرة لكي تختبـروا طبيعة قولي)، وإما أن يعلن اعتراضه على هذا التحليل في وقـت يكـون فيـه العامة أو الغوغاء غير مستعدين لتقبل مثل هذا النقد و هذا الكلام عـن الحقيقـة والشمولية، و سيتّهم هذا المثقف أو المحلل بأنه يسعى للفتنة أو بأنه عميل لطرف من الأطراف أو سواء ذلك. وعلى الرغم من أنّنا نمر في حالة كهـذه إلا أننـي سأختار نماذج من الماضي و اترك للمستقبل أن يحكم على حاضرنا:

نموذج أتاتورك:

وفق التحليل المجتزأ و الآني للأحداث كان أتاتورك بطلاً إسلامياً ومجاهداً عظيماً وفاتحاً جديداً يجدد زمن الخلافة ويقيم دعائم الـشريعة ويهـزم الغـرب وأعوانه من الصليبيين واليهود، وقد انساق لهذا التحليل خلق كبير مـن النـاس ومن المثقفين مثل أمير الشعراء أحمد شوقي الذي شبهه بخالد بن الوليد ومن ثم بصلاح الدين، ومعاركه بمعارك الإسلام الكبرى كبدر، وبمنهجه منهج الـشرع فقال في شعره:

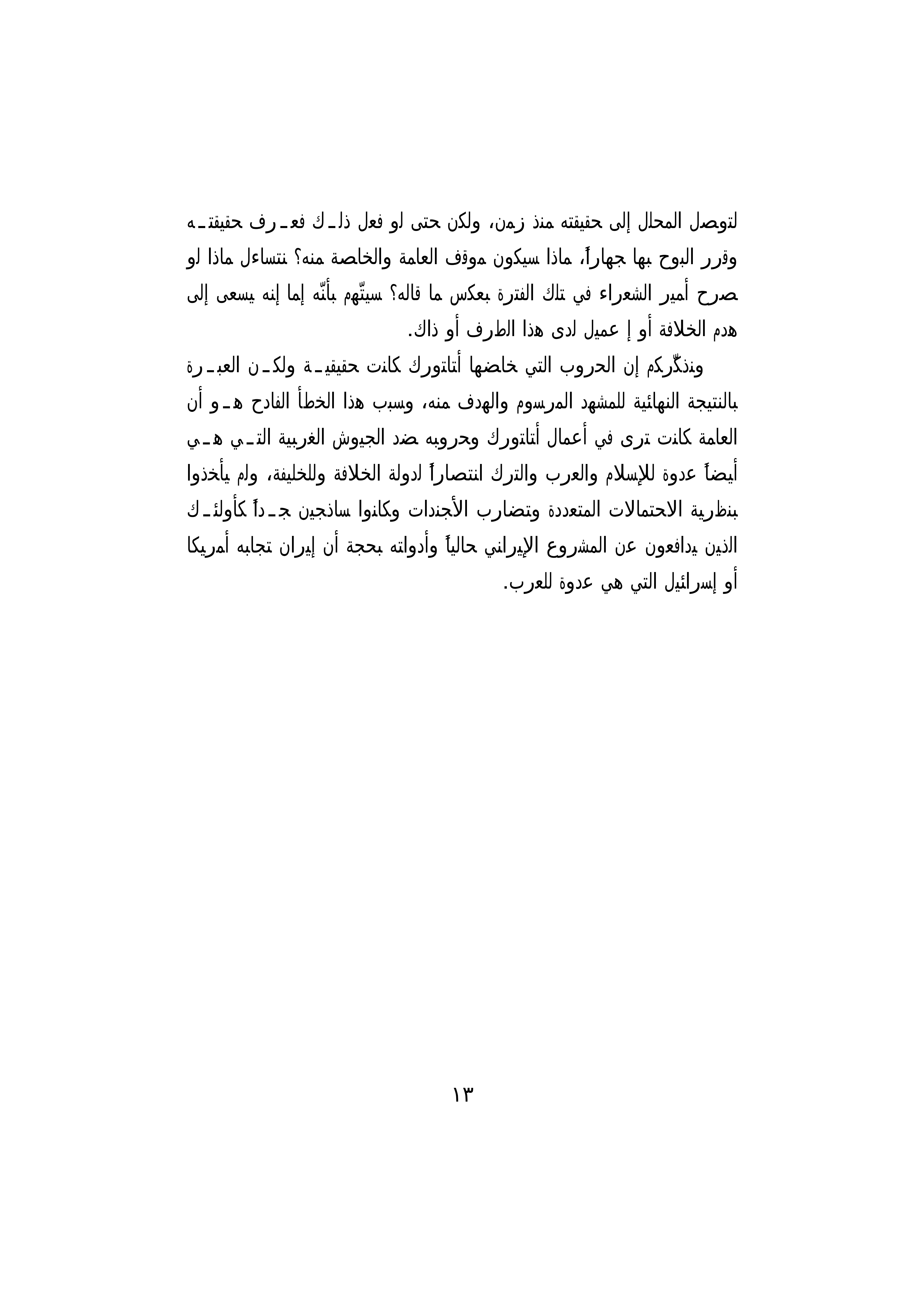
ا أكبر كم في الفتح من عجب … يا خالد الترك جدد خالد العرب

حذوت حرب الصلاحيين في زمن … فيه القـتال بلا شـرع ولا أدب

يوم كبدر فخيل الحق راقصة … على الصعيد وخيل ا في السحب

تحـية أيهـا الغازي وتهـنئة … بآية الفتح تبقى آيـة الحقـب

الجميع يعرف ماذا فعل أتاتورك بعدها، ونحن لا نشبه أتاتورك بأحد مـن عصرنا ولكن نقول: ما سبب هذه المغالطة الكبيرة التي حصلت؟ أليست القراءة المجتزأة و الانتقائية؟ لو تم الأخذ بالصورة الإجمالية لأتاتورك ومحيطه وبيئتـه



لتوصل المحلل إلى حقيقته منذ زمن، ولكن حتى لو فعل ذلـك فعـرف حقيقتـه وقرر البوح بها جهاراً، ماذا سيكون موقف العامة والخاصة منه؟ نتساءل ماذا لو صرح أمير الشعراء في تلك الفترة بعكس ما قاله؟ سيتّهم بأنّه إما إنه يسعى إلى هدم الخلافة أو إ عميل لدى هذا الطرف أو ذاك.

ونذكّركم إن الحروب التي خاضها أتاتورك كانت حقيقيـة ولكـن العبـرة بالنتيجة النهائية للمشهد المرسوم والهدف منه، وسبب هذا الخطأ الفادح هـو أن العامة كانت ترى في أعمال أتاتورك وحروبه ضد الجيوش الغربية التـي هـي أيضاً عدوة للإسلام والعرب والترك انتصاراً لدولة الخلافة وللخليفة، ولم يأخذوا بنظرية الاحتمالات المتعددة وتضارب الأجندات وكانوا ساذجين جـداً كأولئـك الذين يدافعون عن المشروع الإيراني حالياً وأدواته بحجة أن إيران تجابه أمريكا أو إسرائيل التي هي عدوة للعرب.

القسم الاول

حزب اللّه و المشروع الإيراني

نعرض في هذا الباب لجزء يسير من المشروع الإقليمي الإيراني وعلاقـة حزب ا اللبناني بهذا المشروع والدور الذي يؤديه، على أن يتم تقسيم العلاقـة بين الحزب وإيران منذ فترة إنشائه وحتى اليوم إلى قسمين، نتحدث في القـسم الأول عن العلاقة الدينية والسياسية بين الحزب والولي الفقيه الإيرانـي، وفـي القسم الثاني عن الدور الذي يقوم به الحزب في إطار المشروع الإيراني.

ماهية المشروع الإيراني

من منّا لا يعرف ما هي المشاريع الأمريكية في المنطقة العربية والإسلامية وفيما يسمى بالشرق الأوسط؟ فتارة الشرق الأوسـط الكبيـر، وتـارة الـشرق الأوسط الجديد ومرة الشرق أوسطية، ومرة أخرى المتوسطّية وإلى ما هنالك من مشاريع التقسيم والتخريب والهدف واحد وهو السيطرة على المنطقة وثرواتهـا ومقدراتها، ولعلي أقول هنا ولا أخفي سرا أن المشاريع الأمريكية تتّسم بالغبـاء الشديد وبالبعد عن الواقعية وبسقف مطالب عالي جداً من الشعوب، وباسـتخدام قوة خارقة جداً ترتد سلبياً على ما تطرحه من مـشاريع وتـصيب مـصداقيتها بالصميم.

لكن بالمقابل هناك مشروع إقليمي ذو صبغة إمبراطورية قومية يتبلور شيئاً فشيئاً، والخطير في هذا المشروع أن جل الناس لا تعرف عنه شيئاً و ذلك لأنـه وعلى عكس المشروع الأمريكي يتميز بسرية وكتمان شديدين و يلعـب علـى التناقضات متخفياً بعمامة وثوب إسلاميين وهو مشروع يعتمد الـذكاء والحنكـة السياسية والدعاية والإعلام والقوة الناعمة والخشنة - كل في وقته - وبـسقف مطالب معقول في البداية حتى لا يتم التشكيك بنواياه.

هذا المشروع الجديد القديم هو المشروع الإيراني، وفي هذا السياق من الضرورة التوضيح أن تخييرنا بين المشروعين الأمريكي أو الإيراني أو زجنا في أحدهما هو أمر مرفوض جداً، فنحن نرفض إجبارنا على تبني موقف لصالح أحدهما دون الآخر. **وعليه وكما نركّز ونشرح المشروع الأمريكي و نعريه ونعري كل من تعاون معه وجند نفسه لخدمته، نجد أنفسنا ملزمين أيضاً وعلى نفس الوتيرة والمستوى بعرض و تعرية المشروع الإيراني وآلياته وأدواته وجنوده.**

ولكي نقطع الطريق على من يريد أن يصطاد في الماء العكر، نقول بشكل واضح إن وقوفنا ضد المشروعين لا يعني بأي حال من الأحوال مباركة أنظمتنا العربية التي يستخدم بعضها نفس لغتنا و لكن على قاعدة كلام حق يراد به باطل[1].

من غير الصحيح القول إن الملك الأردني هو الذي اخترع مسألة الهلال الشيعي، فقد كان آية الله الخميني هو أول من صرح به عملياً، و هذا ما أدلى به أول رئيس لجمهورية إيران الإسلامية في عهد الخميني، أبو الحسن بني صدر الذي نقل في برنامج "زيارة خاصة" الذي يقدمه سامي كليب على قناة الجزيرة في حلقة بعنوان: "الثورة الإيرانية وأمريكا والعرب" بتاريخ ٢٠٠٠/١/١٧، حيث سأله كليب السؤال التالي: هل كان الإمام الخميني يحدثك عن علاقته مع الجوار العربي، مع دول الخليج؟ وهل كانت لديه أطماع في التقدم عسكريا تجاه هذه الدول من أجل تصدير الثورة مثلاً؟

فأجاب أبو الحسن: لم يحدثني بهذا الموضوع، ولكن كان هناك مشروع آخر، كان يريد إقامة حزام شيعي للسيطرة على ضفتي العالم الإسلامي، كان

---

(١) أنظر مقالنا: وماذا عن المشروع الشرق أوسطي الإيراني وأدواته؟ علي حسين باكير، صحيفة السياسة الكويتية، ١٨-٨-٢٠٠٦.

هذا الحزام يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وعندما يصبح سيدا لهـذا الحزام يستخدم النفط وموقع الخليج الفارسي للسيطرة على بقية العالم الإسلامي.

إذاً، هذا المشروع ليس وهماً نختلقه وليس تضخيماً نستجلبه كما تفعل الولايات المتّحدة لغاية خاصة بها. وهو واقع ومشروع قديم .

يعتبر الهلال الشيعي الخطوة الأولى أو الركيزة الأساسية في ارتقاء المشروع الإيراني لتسيد العالم الإسلامي، لكن المشروع تواجهه عوائق كثيرة أهمها على الإطلاق:

١- الحساسية العربية من العنصر الصفوي- الفارسي.

٢- الحساسية السنية تجاه التشيع الصفوي "التابع للولي الفقيه".

٣- وجود نفوذ أمريكي قوي في المنطقة المفترضة للتغلغل الإيراني.

للتغلب على هذه العقبات اعتمدت إيران طريقتين مختلفتين، الأولى تتعلّق بمصاعب الاختراق العربي- السنّي، والثانية تتعلّق بمشكلة النفوذ الأمريكي بالمنطقة.

بالنسبة للشق الأول، فقد عمدت إيران إلى اختيار إستراتيجية معاكسة لتلك التي تعتمدها الولايات المتّحدة في السيطرة على المنطقة.

المشروع الأمريكي في المنطقة يهدف إلى السيطرة على رأس الدولة أو القيادة السياسية لها على اعتبار أن بإمكان هذه الطبقة السيطرة على شعبها وبالتالي ضمان التزامها بالمصالح الأمريكية.

أما المشروع الإيراني فهو أكثر دهاء وديمومة، إذ انّه يعتمد على اختراق القاعدة الشعبية في الوطن العربي سواء من الناحية المذهبية أو السياسية أو الاجتماعية، و من الطبيعي أن الورقة الأولى والأساسية في هذا الاختراق للأسف هي الورقة الشيعية العربية (المبايعة للولي الفقيه بالدرجة الأولى)، ولكن بما أن هذه الورقة لا تستطيع التأثير على مجمل القرار في الوطن العربي فإنه

لا بد من الاستفادة من مكونات المجتمع الأخرى الأكثر عدداً وتأثيراً، ويتم ذلك باللعب على أوتار المقدسات التي تلتغي عند حدودها بالنسبة للمـواطن العربـي القومية أو السنّي المذهب التقسيمات والتساؤلات والتشكيكات والتناقضات، بـل وحتى طعنات الأمس وخدع اليوم[٢]. وهنا بالذات يأتي دور حزب ا اللبنـاني في الاختراق، و لا نحتاج إلى كبير جهد لإثبات مدى نجاح الحزب في جر عدد كبير من العرب و المسلمين باتجاه البوصلة الإيرانيـة و لـو علـى الـصعيد الإعلامي والدعائي.

أما بالنسبة إلى الشق الثاني فتم ترجيح طرح مشروع مساومة مع الولايات المتّحدة الأمريكية، يعرف باسم الصفقة الكبرى[٣] تقوم إيران بموجبه بالتزام عدد من الشروط الأمريكية على أن تقوم الولايات المتّحدة بدورها بالاعتراف بوضع إيران "كقوة إقليمية شرعية كبرى"[٤]، وهو الأمر الذي ما زالت أمريكا ترفـضه على الرغم من الخدمات الجليلة التي قدمتها لها إيران فـي غـزو أفغانـستان والعراق[٥].

---

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) قامت إيران في العام ٢٠٠٣ بطرح وثيقة سرية على الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بموافقة علي الخامنئي، يمكن مراجعة مقال المؤرخ الأمريكي جارثر بورتر للإطلاع بالتفصيل على طبيعة الوثيقة والعرض الإيراني والخدمات الجليلة التي قدمتها إيـران للولايات المتّحدة في غزو أفغانستان والعراق:
Burnt Offering, Gareth Porter, The American Prospect magazine, 6-6-2006.

(٤) أنظر أيضا: الصفقة الكبرى: إيران تفجر المنطقة طائفياً بين لبنان و العـراق، علـي حـسين بـاكير، الإسـلام اليـوم، ٢٤-١٢-٢٠٠٦ علـى الـرابط التـالي:
www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=72&catid=76&artid=8427

(٥) للمزيد أنظر: النفاق الإيراني تجاه العرب والمسلمين. الخليج العربي مؤامرة صهيونية، علي حسين باكير، على الرابط التالي: www.islammemo.cc/article1.aspx?id=4883

طبيعة العلاقة بين حزب ا و ايران

أولا: التبعية الدينية و السياسة للولي الفقيه:

غالباً عندما يتم الحديث عن مسألة مبايعة حزب ا وكوادره للولي الفقيه الإيراني، ما نسمع من الخاصة كالكتّاب المتخصصين أو من الجمهور السني على حد سواء أن تلك المبايعة تلزم الحزب في الأمور الفقهية فقط دون السياسية، و إن هذه المبايعة لا تشكّل تبعية على الإطلاق و لا تعني عدم استقلالية الحزب. معتقدين أن هذا التفسير يحل مشكلة التشكيك في كون الحزب صادقاً في انتمائه وفي نواياه وفي أجندته.

في هذا الطرح – النابع من الهوى والعاطفة - مغالطات إستراتيجية تساهم عن قصد أو جهل بالتغطية على الصورة الحقيقية للحزب و تبعيته لإيران و التي لا ينكرها حتى قادة الحزب.

ففي البيان التأسيسي للحزب و الذي جاء بعنوان "من نحن و ما هي هويتنا؟" في ١٦ شباط ١٩٨٥، عرف الحزب عن نفسه فقال: "...إننا أبناء أمة حزب ا التي نصر ا طليعتها في إيران، و أسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم... **نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة تتمثّل بالولي الفقيه الجامع للشرائط و تتجسد حاضرا بالإمام المسدد آية ا العظمى روح ا الموسوي الخميني دام ظلّه** مفجر ثورة المسلمين و باعث نهضتهم المجيدة.."(٦).

يقول الخميني عن الولي الفقيه و صلاحياته: "لو قام الشخص الحائز لهاتين الخصلتين (أي العلم والعدل) بتأسيس الحكومة تثبت له نفس الولاية التي كانت ثابتة للرسول الأكرم (ص)، **ويجب على جميع الناس إطاعته.** فتوهم أن صلاحيات النبي (ص) في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين (ع)، وصلاحيات أمير المؤمنين (ع) أكثر من صلاحيات الفقيه، هو توهم خاطئ

---

(٦) راجع: البيان التأسيسي للحزب ١٦ شباط ١٩٨٥.

وباطل. نعم إن فضائل الرسول (ص) بالطبع هي أكثر من فضائل جميع البشر، لكن كثرة الفضائل المعنوية لا تزيد في صلاحيات الحكم. فنفس الصلاحيات التي كانت للرسول (ص) والأئمة (ع) في تعبئة الجيوش، وتعيين الولاة والمحافظين، واستلام الضرائب وصرفها في مصالح المسلمين، قد أعطاها ا تعالى للحكومة المفترضة هذه الأيام. غاية الأمر لم يعين شخصاً بالخصوص، وإنما أعطاه لعنوان العالم العادل"(٧).

يقول الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام لحزب ا في كتابه "حزب ا ، المنهج .. التجربة .. المستقبل" شارحاً علاقة "المسلم" بالولي الفقيه: "... يحتاج المسلم المكلف في القسم الأول (أي قسم العبادات والمعاملات) إلى مرجع تقليد لمعرفة الأحكام الشرعية وضوابطها، وفي القسم الثاني (القسم العام المرتبط بالأمة ومصالحها وحربها وسلمها وتوجهاتها العامة) **إلى قائد هو الولي الفقيه لتحديد السياسات العامة في حياة الأمة ودور المكلفين العملي في تنفيذ أحكام الشرع المقدس والسهر على تطبيقها في حياة الأمة**. وقد تجتمع المرجعية والولاية في شخص واحد (...) كما حصل بالنسبة للإمام الخميني مع انتصار الثورة، وللإمام الخامنئي بعد اختياره للولاية"(٨).

وفي سياق شرحه "لارتباط الحزب بالولي الفقيه" يقول: "**لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته** كما لا علاقة لموطن المرجع بمرجعيته، فالإمام الخميني كولي على المسلمين، كان يدير الدولة الإسلامية في إيران كمرشد وقائد وموجه ومشرف على النظام الإسلامي هناك، وكان يحدد التكليف السياسي لعامة المسلمين في البلدان المختلفة..". هذا "والإرتباط بالولاية، - كما يقول الشيخ نعيم قاسم – **تكليف والتزام يشمل جميع المكلفين**، حتى عندما يعودون إلى مرجع

---

(٧) انظر: آية ا الخميني، "الحكومة الإسلامية"، النسخة الالكترونية (ص٢٤).

(٨) راجع: مقال "السلطة المدنية والاعتقاد بولاية الفقيه المطلقة"، وجيه كوثراني، صحيفة النهار اللبنانية، ٣-١١-٢٠٠٦.

آخـر في التقليد، لأن الإمرة في المسيرة الإسلاميـة العامـة للـولي الفقيـه المتصدي"(٩).

وفي هذا الإطار يوضح الشيخ "محمد تقي مصباح يزدي": إن سلطة الـولي الفقيه هي سلطة كلية مطلقة وعامة لا فرق بين السياسي و الديني لمـن بايعـه. ويطرح في بحث له أيضاً عدداً من التساؤلات في محاولة للإجابة عنها وتقـديم صورة واضحة للقارئ، من بينها التساؤل التالي: "إذا كان هناك فرد أو جماعـة مسلمة تعيش في بلد غير إسلامي (خارج حدود البلد الإسلامي المفترض الـذي يدار بنظام ولاية الفقيه)، فهل يجب عليهم إطاعـة الأوامـر الحكوميـة للفقيـه المذكور أم لا؟". وهو سؤال بطبيعة الحال ينطبق على حالة حزب ا في لبنان.

يقول الشيخ يزيدي في جوابه على هذا التساؤل: "إن لهذا السؤال كما يبـدو فرضين؛ الأول هو: إن المسلمين المقيمين خارج البلد الإسلامي بـايعوا الـولي الفقيه. والفرض الثاني: أنهم لم يبايعوه .... وفقاً للمبدأ الأول (أي ثبوت الولايـة بالتعيين أو بإذن الإمام المعصوم)، ... **يحق لمثل هذا الشخص الولاية على الناس، ويكون أمره نافذاً على كل مسلم ويجب عليه تنفيذه. إذن فطاعته واجبة أيضاً حتـى على المسلمين المقيمين في الدول غير الإسلامية.**

أما في ضوء المبدأ الثاني الذي ينص على توقف ولاية الفقيه على الانتخاب والبيعة، **... فإن طاعة الولي الفقيه، وفقاً لهذا المبدأ، واجبة أيضاً علـى المـسلم المقيم في البلاد غير الإسلامية، سواء بايع أم لم يبايع**"(١٠).

إذا فالشيخ هنا يزيد من الشروط و يقول إن الولي الفقيه في سـلطته ملـزم للذين لم يبايعوا أيضاً، فما بالكم في الذين بايعوا كحزب ا ؟!

---

(٩) انظر: نفس المرجع السابق، نقلا عن كتاب: حزب ا المنهج ...التجربة...المـستقبل، للشيخ نعيم قاسم، ص٧٥.

(١٠) أنظر دراسة: سلطة الولي الفقيه خارج حدود بلده، الشيخ محمد تقي مـصباح يـزدي، على الرابط التالي: www.icde.net/library/maghalat/ar/011.htm

هذا "الحجم من الصلاحيات المنوطة بالولي الفقيه"، تترجم عملياً برسم السياسات العامة للأمة الإسلامية جمعاء، أي بتعبير قديم بـ "دار الإسلام" وبتعبير معاصر "العالم الإسلامي"، أما "التفاصيل" فمتروكة للأحزاب الإسلامية القطرية المرتبطة بالولي الفقيه. ولما كان "حزب ا " لبنانياً بعناصره وكوادره وتياراته وأنصاره، فان "التفاصيل" اللبنانية متروكة له. يعالج الشيخ نعيم قاسم هذا الإشكال في العلاقة بين المستويين بطرح اعتبارين:

- الأول: تطبيق الأحكام الشرعية وعدم القيام بما يخالفها.

- الثاني: الظروف الموضوعية والخصوصيات لكل جماعة أو بلد تؤثر على دائرة التكليف وساحة الاهتمام.

إذن متروك للحزب المحلي،- وفي حالتنا لـ"حزب ا " اللبناني- الإدارة والمتابعة ومواكبة التفاصيل والجزئيات، والقيام بالإجراءات المناسبة والعمل السياسي اليومي والحركة الاجتماعية، بل الجهاد ضد المحتل الإسرائيلي بتفاصيله. وتكون هذه الأمور "**من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب بحسب النظام الداخلي والتي تتمثل بالشورى التي يرأسها الأمين العام والتي تحصل على شرعيتها من الفقيه، فيكون لها من الصلاحيات الواسعة والتفويض ما يساعدها على القيام بمهامها ضمن هامش ذاتي وخاص ينسجم مع تقدير الشورى للأداء التنفيذي النافع والمفيد لمساحة عملها...**"[11].

لكن من الذي يحدد ما هو هامش التحرك للحزب ومتى يكون وكيف يكون ولماذا يكون؟! وإذا كان هناك حرية هامش ضمن إطار نفوذ الولي الفقيه وإشرافه، فمتى يتدخل؟ ولماذا؟

الإجابة على مثل هذه التساؤلات تتيح للقارئ أن يحكم على مدى استقلالية الحزب أو تبعيته.

---

(١١) راجع: "حزب ا : "المنهج...التجربة...المستقبل"، الشيخ نعيم قاسم، دار الهادي للطباعة و النشرو التوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص٧٦.

على سبيل المثال، فان مسألة الانتخابات في أي بلد من البلدان هي مـسألة داخلية يشترك فيها أبناء الشعب في ذلك البلد، وعلى الرغم من ذلك، فقد أثارت مسألة اشتراك حزب ا   في الانتخابات النيابية اللبنانية العـام ١٩٩٢ أو عـدم اشتراكه فيها ضجة كبيرة.

وعلى الرغم من هامش الحرية المتروك للحزب فـي التـصرف بـشؤونه الداخلية و التي تعتبر الانتخابات عنصراً من عناصرها، إلا أن نائب أمين عـام حزب ا   الشيخ نعيم قاسم يؤكّد أن قرار اشتراك الحزب في الانتخابـات جـاء بناء على فتوى من الولي الفقيه الإيراني!!

هذا الموضوع استلزم كما يقول الشيخ نعيم قاسم "نقاشاً داخليـاً موسـعاً"، فكلفت لجنة من ١٢ عضواً لنقـاش هـذا الأمـر، وبعـد نقـاش جملـة مـن الفرضيات[١٢] ارتأت أكثرية اللجنة (١٠ من ١٢) أن المشاركة في الانتخابـات تحقق جملة من المصالح التي ترجح الايجابيات على السلبيات. لكن مـشروعية الاقتراح أو شرعيته لم تأخذ حيز الاقتناع الكامل والتنفيذ إلا بعـد "أن اسـتفتي الولي الفقيه".

يقول الشيخ نعيم قاسم بعد سرده الوقائع: "**ثم جرى استفتاء سـماحة الـولي الفقيه الإمام الخامنئي (حفظه ا) حول المشروعية في الانتخابات النيابية بعد تقديم اقتراح اللجنة، فأجاز وأيد. عندها حسمت المشاركة في الانتخابات النيابيـة ودخـل المشروع في برنامج وآلية الحزب...**"[١٣].

فباستطاعتكم أن تحكموا مثلاً إذا لم يجز الولي الفقيه و لم يؤيـد اشـتراك الحزب؟ ألم يكن الحزب سيلتزم أيضا بهذه الفتوى بنـاء علـى العلاقـة التـي شرحناها بين الولي الفقيه والمكلّفين أو المبايعين!! في هذه الحالة لمـن يكـون القرار ومن هو المستقل ومن هو التابع؟! فإذا كانت مسألة اشتراك الحـزب أو

---

(١٢) نفس المرجع السابق، (ص٢٦٧-٢٧٣).

(١٣) نفس المرجع السابق، (ص٢٧٣).

عدمه في الانتخابات تحتاج إلى فتوى من الولي الفقيه، فما هو حـال المـسائل الجسام السياسية و العسكرية و التي لها انعكاسات إقليمية و دوليـة علـى أداء الحزب؟! هل هي تتم بتصرف ذاتي من الحزب أم بناء على توجيهـات الـولي الفقيه وضمن إطارها العام حيث تكون الإستراتيجية له والتكتيك للحزب، وحينما تستشعر الأطراف أن التكتيك قد يؤدي إلى الإضرار بالإستراتيجية يصدر الأول أمره المباشر سواء عبر فتوى أو عبر توصية و يقوم الحزب بالتنفيذ.

مثال آخر على مدى سلطة و صلاحية الولي الفقيـه حتـى فـي لبنـان: فالانتخابات شأن داخلي، وعلى الرغم من ذلك كما رأينا فقد كـان دور الـولي الفقيه حاسماً في المسألة. المثال هذه المرة يتعلّق بالشأن الاجتمـاعي الـداخلي اللبناني الصرف. فقبل حوالي تسعة أعوام (في ١٤ تـشرين الثـاني ١٩٩٧) ، وبعد أسابيع قليلة على إعلان ما سمي "ثورة الجياع" من قبل الـشيخ صـبحي الطفيلي، تحدث الأمين لحزب ا السيد حسن نصرا في صالون سميح الصلح السياسي في بيروت، وقال رداً على سؤال: ماذا عن العصيان والنـزول إلـى الشارع؟ (تعقيباً على تهديد الشيخ الطفيلي بالعصيان المدني): "إن العصيان غير مقبول بالمعنى الشرعي، بل أن حفظ النظام العام واجب وعدم الالتزام بالقوانين يرتّب مفاسد كبيرة على أوضاع الناس وشؤونهم الحياتية وهناك حالـة واحـدة يجوز فيها العصيان هي عندما تصبح المفسدة كبيرة إلى الحد الذي لا يوجد فيها حل آخر **وهذا يحتاج إلى إذن من الولي الفقيه**"[١٤].

هذه هي الآلية، فمسألة الانتخابات في لبنان يتصدى لهـا الـولي الفقيـه الإيراني، ومسألة العصيان في لبنان يتصدى لها الولي الفقيه الإيراني، ولاحظوا معي إن هذه المسائل ورغم صلاحية و سلطة الحزب بالتصرف بالأمور الداخلية ضمن المنظور العام للولي الفقيه كما سبق وذكرنـا، إلا أن هـذا القـدر مـن

(١٤) انظر: صحيفة "المستقبل"، الأربعاء ٢٩ تشرين ثاني ٢٠٠٦، العدد ٢٤٦٠، ص٤.

التفويض لم يتح للحزب حسم مسائل صغيرة – مقارنة بالأعمال ذات الأبعاد الإقليمية و الدولية - بقدراته الذاتية وعبر قادته وكوادره، إنما تطلب الأمر تدخل الولي الفقيه. فالكلمة الفصل كانت للولي الفقيه الإيراني ولم تكن مثلاً لنائبه أو وكيله في لبنان أو ممثل حزب ا أو أمينه العام اللبناني!!

أمام هذه المعطيات، لنا أن نتصور تصدي الولي الفقيه لأمور مثل العلاقة مع أهل السنّة والموقف من إسرائيل والجبهة على الشمال واتّفاقات الهدنة وقرارات خوض الحرب والسلم والمفاوضات والتوازنات الداخلية. ولنا أن نتساءل كم من المرات استفتي الولي الفقيه منذ إنشاء الحزب؟ وما هي الأحداث والمناسبات والمواقف التي استفتي فيها الفقيه حتى يومنا هذا؟ وماذا كانت توجيهاته ؟ وماذا إذا اصطدم توجه الولي الفقيه مع مصلحة الدولة اللبنانية، فأيهما سيختار الحزب و لمن سيكون الولاء والطاعة؟ على الرغم من أن الجواب واضح عمليا من خلال ممارسات حزب ا خاصة بعد الخروج السوري من لبنان والذي كان يعمل على تطويع مصلحة البلد بأكمله - أي لبنان - ليجعلها تتماشى مع مصلحة الولي الفقيه فلا يظهر التناقض ولا يضطر الحزب ليكون في هذا المأزق، إلا أننا سنستعين بما يقوله قادة الحزب أنفسهم بشان هكذا قضية.

يقول السيد حسن نصرا الأمين العام لحزب ا داعماً لمرجعية الولي الفقيه: "**في مسيرتنا الإلهية نحن قوم نؤدي تكليفنا الإلهي والشرعي ، ويحدده لنا ولي الأمر في خطوطه الكبيرة والعريضة وأحياناً في التفاصيل ونحن علينا أن نؤدي هذا التكليف الإلهي الشرعي**"(١٥).

---

(١٥) خطاب عاشوراء، حسن نصرا ، ص٦٣. انظر: القائد السيد نصر ا قائده الولي الفقيه، "شبكة البتول عليها السلام"، على الرابط التالي: www.albatoul.net/portal/index.php?show=news&action=article&id=189

بطبيعة الحال التكليف "الإلهي والشرعي" في هذا الكلام المهم الذي يقولـه حسن نصرا ، لا يتعلّق بمسائل مثل الخمس والصلاة والنكاح والفرائض الدينية، وإذا توهم القارئ ذلك فهو تأويل من جانبه لما لا يقبل التأويل. هذا كلام صريح وواضح يتعلّق بخطوط كبيرة وتفاصيل واستراتيجيات، فأين الاستراتيجيات فـي الزواج والخمس والصلاة؟! المقصود هنا السياسة والمـصلحة، وهنـا يـرتبط السياسي بالديني من خلال الولي الفقيه و التكليف الشرعي.

يعلّق مفتي صور وجبل عامل العلامة السيد علي الأمين علـى مـسألة "إذا اصطدم توجه الولي الفقيه مع مصلحة الدولة اللبنانية، فأيهما سيختار الحـزب؟" قائلا: "**إذا تعارضت نظرية ولاية الفقيه بنظر "حزب ا " مع المصلحة الداخلية، فأنهم سيقدمونها على المصلحة الوطنية، لأن رأي الفقيه حكم مطاع ... لـديهم هـامش وطني يعطى بمقدار ما ينسجم مع مصلحة ولاية الفقيه. كانوا يقولون دائماً، وحتـى بعضهم عندما وقعت خلافات في الجنوب، فليـذهب الجنـوب وتبقـى الجمهوريـة الإسلامية في إيران، والآن يمكن أن يقول البعض فليذهب لبنان ولتبق الجمهوريـة الإسلامية**"(١٦).

ثانياً: إنشاء حزب ا و دوره في خدمة المشروع الإيراني:

في هذا الإطار سنطرح لكم لماذا اهتّمت إيران بإنشاء حزب ا اللبناني في ضوء ارتباطه بالولي الفقيه وما هي الأهداف الأساسـية والرئيـسية مـن وراء دعمه وما هو الدور الذي يؤديه الحزب في خدمه إيران و مشروعها.

لقد جاءت ولادة الحزب في ظروف حروب خارجية وداخلية عنيفة شهدها لبنان، وقد كان لإيران الدور الأبرز في ولادة الحزب إثر انتهاء دور حركة أمل الشيعية التي كانت مصالحها في الفترة الأخيرة من تلك المرحلة مرتبطة بالخطّة الإسرائيلية بتصفية الوجود الفلسطيني في لبنان. فعلى سبيل المثال، نقلت وكالـة رويتر في تقرير لها من النبطية في ١- ٧- ١٩٨٢م أن القوات الصهيونية التي

---

(١٦) صحيفة المستقبل اللبنانية، العدد ٢٣٨٦، الخميس ١٣ أيلول ٢٠٠٦، ص٥.

احتلت البلدة سمحت لمنظمة (أمل) بأن تحتفظ بالمليشيات الخاصة التابعة لهـا، وبحمل جميع ما لديها من أسلحة. وصرح أحد قادة مليشيا منظمة (أمل) ويدعى حسن مصطفى (أن هذه الأسلحة ستستخدم في الدفاع عنا ضد الفلسطينيين)(١٧).

مثال آخر أكثر وضوحاً ونحتاج لأن نركّز عليـه جيـداً لأننـا سـنتناول مضمونه في حديثنا في الباب الثاني من البحث عـن دور حـزب ا بالنـسبة لإسرائيل، فقد قالت صحيفة (الجروزاليم بوست) في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٨٥م: "إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل. إن إسرائيل ترددت حتى الآن في تسليم أمل مهمة الحفاظ على الأمن والقانون على الحدود بين فلسطين ولبنان، وإن الوقـت حان لأن تعهد إسرائيل إلى أمل بهذه المهمة"(١٨).

و نقلت وكالة الأنباء في ٦ يونيـو ١٩٨٥م عـن رئـيس الاسـتخبارات العسكرية اليهودية (أهود براك) قوله: "إنه على ثقة تامة من أن "أمل" سـتكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنـوب اللبنـاني، وأنهـا سـتمنع رجـال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجد في الجنوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية"(١٩).

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان الخط السياسي لحركة أمل تابعاً لسوريا مما لا يترك مجالاً لإيران لإملاء السياسات المناسبة عليها، أعقب ذلك تـورط حركـة أمل في مجازر كبيرة في حق الفلسطينيين في لبنان الذين كان البعض يعتبرهم جيش السنّة في لبنان، و لم تعد حركة أمل بشقّها السياسي أو العسكري بقـادرة

---

(١٧) للاستزادة راجع كتاب: عبدا الغريـب، "أمـل و"المخيمـات الفلـسطينية"، النـسخة الالكترونية.

(١٨) نفس المرجع السابق.

(١٩) نفس المرجع السابق.

على ترويج الخط الإيراني، فكان لا بد من إنشاء حزب آخر ينقل إيـران إلـى المنطقة ويربطها بالقضية الفلسطينية ويسمح لها بموطئ قدم ويجعلها على صلة مباشرة بالأحداث، فكان أن تم إنشاء حزب ا من عناصر كانوا تابعين لحركـة أمل أصلاً؛ أبرزهم على الإطلاق المسئول عن مكتب حركة أمل في إيران فـي ذلك الوقت السيد إبراهيم أمين السيد الذي أصبح لاحقاً أحد البارزين في "حـزب ا "[٢٠]، بالإضافة إلى غيرهم من الشيعة ممن ارتضى أن يكون الـولي الفقيـه مرجعه وقائده. "ومنذ ذلك الوقت تكرست القطيعة الآنية بين "حركة أمل" والثورة الإسلامية في إيران، وأخذت إيران تنسق على الساحة اللبنانية مع "حـزب ا " ورجال الدين العاملين وبعض المؤسسات الأخرى مثل "أسـرة التـآخي" التـي يرعاها السيد محمد حسين فضل ا "[٢١].

ففي البيان التأسيسي لحزب ا والذي جاء بعنوان "من نحـن؟ ومـا هـي هويتنا؟" في ٦ شباط ١٩٨٥، عرف الحزب عن نفسه فقال: "...إننا أبنـاء أمـة حزب ا التي نصر ا طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم ... **نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة تتمثّل بالولي الفقيه الجامع للشرائط و تتجسد حاضرا بالإمام المسدد آية ا العظمى روح ا الموسوي الخميني دام ظلّه** مفجر ثورة المسلمين و باعث نهضتهم المجيدة..". وقـد عبـر إبراهيم الأمين (قيادي في الحزب) عن هذا التوجه عام ١٩٨٧ فقال: "نحـن لا نقول إننا جزء من إيران؛ **نحن إيران في لبنان**، ولبنان في إيران"[٢٢].

فيما يقول حبيب فياض: "ويمكن القول إن تجربة المقاومة الإسـلامية قـد ولدت من رحم تجربة الإمام الخميني في قيادة الثورة الإسلامية قبل الإنتـصار

---

(٢٠) نهاد حشيشو، "الأحزاب في لبنان"، مركز الدراسات الاستراتيجية و البحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ١٩٩٨، (ص٣٢).

(٢١) نفس المرجع السابق، (ص٣٣).

(٢٢) صحيفة "النهار" اللبنانية، ٥-٣-١٩٨٧.

وبعده، وإن المقاومة بين التجربتين تتجاوز الإطار التحالفي التقليدي الـذي قـد يحكم العلاقة بين الثورات والحركات التحررية المرتبطة بها، **وتتوغل ـ العلاقة بين التجربتين ـ في عمق التاريخ والعقيدة والهوية، وتتجلى على نحو مـا يـربط الجزء بالكل والفرع بالأصل والمقدمة بالنتيجة"**[٢٣].

على أية حال عملت إيران على الاهتمام بالحزب اهتمامـاً كبيـراً وعلـى تنصيع سيرته والحرص على مثاليتها للإستفادة منها فيما بعد، وتكفّلـت إيـران بالدعم المالي للحزب الذي كان العامل الأول في اجتذاب المقاتلين إلى صفوفه.

وجاء في كتاب "الحروب السرية": "بلغت الأجرة الشهرية للمقاتـل خمـسة آلاف ليرة لبنانية، وهي أعلى أجرة تقاضاها مقاتل في لبنان عام ١٩٨٦، لدرجة أن مقاتلي "أمل" راحوا بـهدف الكسب يهجرون صفوف الحركة للانخراط فـي حزب ا ". ولكم أن تتخيلوا تأثير هذه القيمة من الأموال عنـدما تـوزع علـى أصحاب أقل دخلاً على الإطلاق في لبنان وهم الطبقة الشيعية آنذاك!![٢٤].

وظهر فيما بعد أن هناك توزيعاً للأدوار الشيعية في لبنان، ففيما تقوم "أمل" بتمثيل الشيعة سياسياً والحفاظ على حقوقهم، يتولى حزب ا الأعمال العسكرية بعيداً عن السياسة والشؤون الداخلية. ويؤكد ذلك ما ذكره نائب الأمـين العـام لحزب ا الشيخ نعيم قاسم حين قال: "إن العديد ممن التحقوا بالحزب تكـاملوا معه، و لم يكن الهدف الأخذ من جمهور "أمل" و إيجاد شرخ معها..."[٢٥].

إذا "التكامل" هو الهدف كما صرح الشيخ نعيم قاسم، ومنعا من التطـاحن على المغانم و المكاسب الداخلية وخوفا من تشوه صورة الحزب وعدم الإستفادة

---

(٢٣) أنظرمقال: "تجربة المقاومة الإسلامية على ضوء ثورة الإمام الخميني"، حبيبي فياض، دار الولاية للثقافة والاعلام على الرابط التالي: http://alwelayah.net

(٢٤) انظر: "رؤية في حاضر ومستقبل حزب ا اللبناني"، علي حسين باكير، مجلة البيـان، العدد ٢٢٣، يناير ٢٠٠٦، ص٧٤.

(٢٥) صحيفة "السفير" اللبنانية، ١٢-١-١٩٩٣.

منها فيما بعد، قامت إيران بالتكفّل بجميع احتياجات الحزب المالية والتي بلغـت عام ١٩٩٠ بثلاثة ملايين دولار ونصف المليون حـسب بعـض التقـديرات، وخمسين مليون عام ١٩٩١، وقُدرت بمائة وعشرين مليوناً في ١٩٩٢، ومائـة وستين في عام ١٩٩٣، وتشير بعض المصادر إلى ارتفاع ميزانية "حـزب ا " في عهد رافسنجاني إلى ٢٨٠ مليون دولار. هذه الميزانية الكبيرة جعلت الحزب يهتم فقط بالدور المنوط به دون التّدخل في نزاعات داخلية ضيقة[٢٦].

من الطبيعي أن يكون للدور المناط بالحزب وجه لبناني، بل مـن الأصـح القول إن ضرورة توفّر وجه لبناني لدور الحزب هو الذي يضمن له استمرارية العمل في البيئة اللبنانية وبالتالي إفادة الأجندة الإيرانية قدر الإمكـان، ذلـك أن العمل وفق المصلحة الإيرانية الخالصة دون أن يكون هناك وجه مصلحة لبنانية يؤدي إلى التضييق على الحزب الذي يصبح معزولاً من قبل اللبنانيين النـاقمين عليه، ولذلك فإن المتابع لدور الحزب من بدايته وصولاً إلـى اليـوم يـرى أن الحزب يغير - كما سبق وذكرنا - التكتيكات القصيرة الأجل لديه بشكل سـريع و كثيف لدرجة التناقض في كثير من الأحيان، لضرورة توفير الوجه اللبناني في إطار دوره.

و بناء على ما سبق وتقدم، نستطيع أن نقول إن الأهداف من إنشاء حـزب ا اللبناني من الوجه الإيراني له شقّان:

- شق داخلي لبناني يتعلّق بطبيعة الحزب و بيئته في لبنان.
- وشق خارجي يتعلق بولاية الفقيه و المشروع الإيراني الإقليمي.

على أن يصب المجهود الكلي في دعم المشروع الإيرانـي وإسـتراتيجية الولي الفقيه مهما كانت الظروف، و هذا أمر واضح في أجندة القادة الإيـرانيين منذ البداية.

---

(٢٦) راجـع: "نـشأة حـزب ا و ظهـوره"، مفكـرة الاسـلام علـى الـرابط التـالي: http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=2579

يقول حجة الإسلام فخر روحاني - سفير إيران في لبنـان - فـي مقابلـة أجرتها معه صحيفة "إطلاعات" الإيرانية في نـهاية الـشهر الأول مـن عـام ١٩٨٤، عن لبنان:

"لبنان يشبه الآن إيران عام ١٩٧٧، ولو نراقب ونعمل بدقة وصبر، فإنـه إن شاء ا سيجيء إلى أحضاننا، وبسبب موقع لبنان وهو قلب المنطقة، وأحـد أهـم المراكز العالمية، فإنه عندما يأتي لبنان إلى أحضان الجمهورية الإسلامية، فـسوف يتبعه الباقون"[(٢٧)].

وأكّد نفس كلامه هذا في تصريح آخر له يقول فيه: " لبنان يـشكل خيـر أمـل لتصدير الثورة الإسلامية"[(٢٨)].

ويمكن تلخيص هذا الدور الذي يقوم به حزب ا بالنقاط التالية:

أولا: يقوم الحزب بتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية بكافّة مضامينها الدينيـة والاجتماعية إلى البيئة اللبنانية وتلتزم إيران مقابل ذلك بجميع الأعبـاء الماليـة والمترتبات التي يتطلبها هذا العمل. وتكون البيئة الشيعية غير التابعـة للـولي الفقيه الهدف الأول لهذا الترويج على الصعيد الداخلي وذلـك بهـدف تحجـيم المراجع الشيعية العربية أو التي تتعارض أجندتها الوطنية مع المشروع الإقليمي الإيراني ومع القاعدة الشرعية الدينية والاجتماعية للولي الفقيه. ثم يتم الانتقـال إلى الشرائح الأخرى. وعليه يصبح لبنان نموذجاً للدول التي يتواجد فيها أقليـة شيعية كبيرة مثل البحرين أو غيرها.

يقول الأمين العام لحزب ا على سبيل المثال: **"لقد أنعم ا علينا بولي أمر هو رجل فذّ وشخصية استثنائية، فلو فتشنا كل حوزاتنا وبلادنا الإسلامية لما وجدنا فقيهاً من فقهاء الشيعة يجتمع فيه هذا الحشد وهذا المستوى من المواصفات الراقية التي تجتمع في سماحة القائد الخامنئي حفظه ا كقائد وولـي أمـر ... إذا أردنـا**

---

(٢٧) نفس المرجع السابق.

(٢٨) صحيفة "النهار" اللبنانية، ١١-١-١٩٨٤.

الآخرة، فآخرتنا مع ولي أمرنا نائب الحجة (عج)؛ وأزيدكم، إذا أردنـا عـز الـدنيا وشرفها وكرامتها فلن ننالها إلا مع ولي الأمر..."[٢٩].

نستطيع أن نرى بشكل واضح جداً أن مثل هذا الكلام لا يستهدف السنّة أو غالبية المسلمين، بل يستهدف الشيعة من غير الموالين أو المبايعين للولي الفقيه، و فيه دعوة للشيعة من المقلدين للمراجع بتأييد الولي الفقيه الإلتفاف حوله.

يقول أسعد الأسعد* - أحد القيادات السياسية الشيعية اللبنانية- فيما يتعلـق بدور حزب ا في هذه النقطة من ناحية المال: "ونحن الآن نعيش بظـل واقـع المال الذي يشتري ضعفاء النفوس، وفي واقع وجود السلاح الذي بمجرد وجوده في القرى يشكل عامل خوف كبير عند الناس فتضطر للاستجابة بعيـداً عـن قناعاتها ... المال هنا أهم من السلاح بالنسبة لحزب ا ، وطالمـا هنـاك هـذه الأموال الهائلة التي تأتي من إيران، فلدى حزب ا ٣٧ ألف شخص على قائمة المعاشات الشهرية....، وهنا يلعب المال دوره ونأسف لذلك، وحتى بعض علماء الدين إما لا يتجرؤون على البوح بالحقائق أو الأسوأ وهو أنهم انصاعوا لمبـدأ المال أيضا"[٣٠].

أما فيما يتعلق بترويج حزب ا للولي الفقيه فيقول: "لقد تربيت بثقافة شيعية عالية ومنزلنا معروف باحترامه وإجلاله لعلماء الدين وهذا معـروف عـن آل الأسعد. لكن الثقافة الشيعية تعرضت للتغيير وحتى علماء الدين تغير سلوكهم من التقشف إلى مظاهر الفخامة وهذا مؤسف ... فالمرجعية الأساسية كانـت دائمـاً

---

(٢٩) راجع: "خطاب عاشوراء"، حسن نصرا ، (ص ٥٩- ٦١). عن مقال: "من مواصـفات ولي امر المسلمين آية ا العظمى الامام القائد الخامنئي دام ظله"، حسن نصرا ، دار الولاية للثقافة والاعلام، على الرابط التالي:
http://alwelayah.net/index.php?f=doc&s=khamenie&r=derasat&id=41

- عائلة الأسعد، عائلة شيعية لها مكانتها التاريخية في لبنان بحيث كانت تتنزعم الطائفـة الشيعية سياسياً لفترة طويلة خاصة من جهة الاقطاع.

(٣٠) انظر صحيفة "السياسة الكويتية"، ٢٦-٩-٢٠٠٦.

النجف، **ومرجعية "قُم" شيء جديد فرض على الشيعة ... وموضوع ولاية الفقيه هذه أكبر كذبة وخدعة ... برأيي هناك تحريف وتزوير لتراثنا وتقاليدنا وعلى كل الأصعدة وحتى الإجتماعية منها**"(٣١).

ثانياً: وبالتوازي مع الخطوة الأولى و لكن بحرص أكبر علـى ضـرورة تحقيقها، يقوم الحزب باستخدام ما يسمى "القوة الناعمة" أو "البرستيج" للتـرويج للحزب على نطاق الوطن العربي بأسره كخطوة أولى، وكون الحـزب لبنانيـاً والعدو المفترض "إسرائيل" فهذا سيسهل كثيراً مهمة إيران في اختراق الشعوب، كما سبق و ذكرنا، على أن يقوم في الخطوة الثانية بتجييـر الفـضل والـولاء و"البريستيج" لإيران وللولي الفقيه، فتنتقل القاعدة الجماهيرية التي تؤيده وتتحول إلى تأييد إيران، وهكذا و بطريقة سلسة وسهلة يكون الحزب قد اخترق القاعـدة العربية لصالح إيران، متفادياً الحساسيات التي من الممكن أن تنشأ فيما لو تولّت إيران بنفسها القيام بهذه المهمة بشكل مباشر أو انتهجت أسلوب تصدير الثـورة بشكل مكشوف كما سبق وفعلت في بدايتها.

لذلك نلاحظ بشكل دائم ومستمر حضور "إيران" و"الولي الفقيه" في جميـع كلمات وخطابات قادة ومسؤولي الحزب الموجهة إعلامياً.

نعطي مثالا على هذه الحالة من قول الأمين العام حسن نصرا نفسه: "أيها الأخوة والأخوات نحن وجميع المسلمين في العالم لدينا ولي أمر، فـإذا كانـت أغلبية المسلمين لا يريدون أن يطيعوه فهذه مشكلتهم، وطبعاً الكثير لم يطيعـوا النبي ولا الإمام المعصوم، ولكن هذا لا يعني أن الإمام ليس إماماً والنبي لـيس نبياً، نحن لدينا ولي أمر هو نائب الإمام المهدي(عج)، وأوجب علينـا طاعتـه ونحن خبرنا هذا الولي والقائد، في طهارته وصفائه وورعه وفي الوقت نفـسه في شجاعته وقوته وحكمته وتدبيره ووعيه؛ فهـو يتحـدى أميركـا والاتحـاد

---

(٣١) نفس المرجع السابق.

الأوروبي والأساطيل التي تملأ الخليج ... إذ أردنا الآخرة، فآخرتنا مع ولي أمرنا نائب الحجة (عج)؛ وأزيدكم، إذا أردنا عز الدنيا وشرفها وكرامتها فلن ننالها إلا مع ولي الأمر، حتى هذه المقاومة الكبيرة التي نعتني بها والتي هي الشيء الوحيد في هذا العالم العربي الذي نرفع رأسنا به ونعتز به وبوجوده، لولا رجل اسمه روح ا الموسوي الخميني لما كان لها وجود في لبنان، وبعده لولا رجل اسمه علي الحسيني الخامنئي لما استمرت المقاومة"[٣٢].

نلاحظ في هذه الفقرة كيف انّه وجه الخطاب إلى غالبية المسلمين "أي السنّة" فطعنهم بداية، ثم عاد ليقدم لهم المثال عمن يجب أن يتبعوه، أي ولي الأمر نائب الإمام المهدي القائد الطاهر الشجاع الذي يتحدى الأساطيل و الذي أنشأ الشيء الوحيد الذي يرفع الرأس في العالم العربي!! هذه فقرة نموذجية لطريقة الترويج للولي الفقيه في الوسط العربي والإسلامي السني وكيف يتم تجيير الدعاية للحزب لتصب في صالح إيران و الولي الفقيه.

لكن يبدو أن العرب استعصى عليهم فهم الأمر في البداية!! فأراد الأمين العام أن يفهمهم أن التأييد يجب أن يذهب لإيران وللولي الفقيه تحديداً، وليس لشخصه ولا لحزبه، وقد تجلى ذلك بشكل لا يقبل الشك ولا الطعن عندما قام بتقبيل يد الإمام الخامنئي أمام الشاشات العالمية التي كانت تنقل الحدث.

ففي الجلسة الأولى للمؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة (الذي أقيم في طهران في نيسان ٢٠٠١م) والذي تم افتتاحه بكلمة للولي الفقيه مرشد الثورة الإيرانية علي الخامنئي، وفور انتهائه منها، **تنحى حسن نصرالله من مكانه وتوجه نحو القائد الولي الفقيه علي الخامنئي، ثم قبل يده.**

يقول رئيس تحرير جريدة "جمهوري إسلامي" مسيح مهاجري الملقّب حجة الإسلام والمسلمين: بعد يومين، توجهتُ للقاء سماحة السيد نصرالله حيث حاورته، وسألته عن السبب الذي دفعه في هكذا جلسة رسمية إلى الانحناء أمام

---

(٣٢) "خطاب عاشوراء"، مرجع سابق، (ص٥٩-٦١).

قائد الثورة وتقبيل يده. فقال لي: **"لقد تعمدتُ هذا الأمر ... وسبب ذلك أن وسـائل الإعلام العالمية اعتبرتني هذه السنة "رجل العام"، وفي البلاد العربية أطلقـوا علـي عنوان "أكثر قادة العالم العربي نجاحاً"، الأمر الذي لم يسرني. لكن، في هذه الجلسة المهمة التي حضرها جمع من زعماء الحركات الإسلامية والشخـصيات الـسياسية للدول الإسلامية، وحيث كانت تُبث وقائع الجلسة مباشرة في دول العالم، أقدمتُ على ذلك لأقول لكل الذين يعرفونني: أنا جندي قائد الثورة"**[٣٣].

هذا كلام صريح وواضح ولا يحتاج إلى تأويل أو تفسير، انظروا كيـف أن الحركات و التصرفات كلها محسوبة ودقيقة، فمن أيـن سـيخطر علـى ذهـن المشاهد أن هذه الحركة مقصودة!! وعليكم بقياس هذه الحالة على جميع خطـب ورسائل السيد حسن نصرا وكلماته الموجهة للإعلام عدا عن قناة "المنار"، إذ لا شيء عشوائي أو فوضوي، كله مدروس ودقيق و له اهدافه المبطنّة غير تلك الظاهرة.

لقد أزعج حسن نصرا ان يتم وصفه بـ"أكثر قادة العالم العربي نجاحاً". نعم، فهو لا يعمل لكي يوصف بذلك، هو يعمل لكي يتم وصف الـولي الفقيـه وإيران، لذلك يقول لقد تعمدت الأمر!! أي أنه أراد تصحيح فهم هؤلاء العـرب الذين لا يزالون يفرقون بينه و بين تبعيته للولي الفقيه.

و لعلّ هذا الترويج الإعلامي لإيران والولي الفقيه لقي قبولاً واسعاً ونجاحاً باهراً في الوسط العربي والإسلامي، وخير دليل على ذلـك، أنـه إذا مـا أراد أحدهم كتابة مقال صغير ينتقد فيه أسلوب إيران وطريقـة اسـتغلالها لملفـات المنطقة، أو دورها السلبي في العراق وأفغانستان مثلاً، تجد الانتقـادات تنهـال عليه من كل حدب و صوب... كيف تنتقد إيران التي تدعم حزب ا !!

---

(٣٣) قائد جندي القائد، مجلة بقية ا ، ٢٨-٦-٢٠٠٥. شبكة والفجر الثقافية، نقـلاً عـن مجلة بقية ا الشيعية على الرابط التالي: www.walfajr.net/artc.php?id=663

ولا أغالي إن قلت إن الحزب ككل بجميع أذرعه العسكرية والسياسية والاجتماعية ومؤسساته وكوادره وقياداته عبارة عن مؤسسة إعلامية ودعائية ضخمة وهائلة وقد تكون من أنجح المؤسسات الدعائية في العالم على الإطلاق. والاستثمار المالي والمادي والمعنوي والديني الإيراني في هذه المؤسسة الدعائية هو خيار صائب لها، بل هو الخيار الناجح في نقل الثورة الإسلامية إلى الخارج وفي اختراقها للقاعدة الشعبية الإقليمية. إذ تقوم هذه المؤسسة باستخدام الخطاب المموه للوصول إلى الأهداف دون أن يتم إثارة الموضوع بشكل صدامي، بل بكل هدوء وروية.

يقول آية ا الخميني متحدثاً عن أهمية العمل الدعائي والإعلامي في إسقاط الخصم أو اختراقه: "...ويعتبر العمل الدعائي أول أنشطتنا في هذا الطريق، أي الحكومة الإسلامية، فيجب أن نتقدم من خلال العمل الإعلامي، ففي جميع أنحاء العالم كان الأمر كذلك على الدوام. إذ يلتقي عدة أشخاص ويفكرون في الأمر، ثم يقررون ويقومون بعد ذلك بالعمل الدعائي، **فيزدادون شيئاً فشيئاً، إلى أن ينتهي الأمر بأن يصيروا قوة نافذة في حكومة كبيرة - أو يحاربونها - ومن ثم يسقطونها**"[٣٤].

"لا نهاية لتأثير وسائل الإعلام، وإن إصابتها كالقذيفة تماماً، فاستخدِمها لتحقق أهدافك"[٣٥].

الصورة المرسومة والمغروسة في أذهان الناس عن "حزب ا " لم يكن لها أن تنطبع بهذه الحدة والقوة لولا الجهد الإعلامي والدعائي الضخم وطبيعة الحزب الدعائية من أساسها كم ذكرنا. ولا شك أن الوسائل الإعلامية هذه تعمل في ترويج "كل" الحزب: عقائده، أفكاره، سياسته، أفراده، وفي غالب الأحيان

---

(٣٤) راجع كتاب: الحكومة الاسلامية، مرجع سابق،ص٧٩.

(٣٥) البند رقم ١١ من مبادئ القتال لدى حزب ا ، أنظر كتاب: حقيقة المقاومة، عبدالمنعم شفيق، النسخة الالكترونية.

يكون هذا الترويج مصحوباً بمساحيق وأدوات تجميل، فلا يظهر مـن الحـزب وعقيدته وتوجهه إلا ما هو حسن أو "محسن"، كما سعى الحـزب إلـى غـزو الوسائل الإعلامية العامة غير التابعة له، من محطات فضائية وصحف ومجلات ودوريات، ... يقول وضاح شرارة في هذا الإطار: "**تتوسل الحركة الخمينية إلى الدعوة والتعبئة بنشاط إعلامي كثيف ومنظم**"[٣٦].

الخداع الذي يمارس من قبل حزب ا على نطاق واسع احد أهـم أسـباب نجاحه هو جهل "الآخر" بالطرق الصحيحة للحكم على الأمور. فعندما تريـد أن تحكم على أمر لا بد وأن تقرأ عنه ومن الأفضل بطبيعة الحال إن تكون القراءة من المصدر الأساسي نفسه كما هو معروف.

لكننا في الوطن العربي بدلاً من أن ندرس مثلاً ظاهرة حزب ا من خلال الكتابات الخاصة لقادة الحزب والقيمين عليه ومن خلال النـزول علـى الأرض وتفحص المنشورات والحسينيات والمجتمع الذي يعيش فيه الحزب، وهـل هـو مطابق لما يقوله للعامة أم متناقض معه؛ نقوم بإهمال كل ذلك ونفعل العكس، اذ ننتظر خطبة للأمين العام لحزب ا أو نفتح قناة "المنار" وننتظر الخبر ثم نقول ها انظروا إنه حزب غير طائفي وإنه حزب مجاهد وإنه وإنه .... ونقع في الفخ المنصوب.

فالخطاب عندما يبث الى ملايين الناس يكـون خطابـاً مدروسـاً وهدفـه الأساسي أن يقع مثل هؤلاء المغفلين في هذه الحفرة (مثال تقبيل يد الخـامنئي)، فعندما تفتح تلفزيون المنار لا تتوقع أن يكون هناك طعن بالآخر لان هذه القنـاة على سبيل المثال موجهة للآخر، فكيف سيشاهدها الجمهور الـذي تـستهدفه إذا كانت ستطعن به!!

---

(٣٦) نفس المرجع السابق.

فالحزب بارع في استخدام الشيء للطعن بضده، فعلى سبيل المثال إذا مـا أراد أحدهم كشف وجه الحزب الطائفي عاجلة الرد "إننا متحالفون مع المقاومـة الفلسطينية السنية، فكيف نكون طائفيين؟!". فهم بهذه الطريقة ينفون عن أنفـسهم الطائفية و يلزمونها للسائل وفي نفس الوقت يحظون بدعاية إعلامية واسعة من خلال الالتصاق بالمقاومة الفلسطينية.

وقد صرح المفتي الجعفري لصور وجبل عامل السيد "علي الأمين" صراحة دون مواربة، على أن العلاقة بين حزب ا وبين الفلسطينيين وخاصة حمـاس (السنية) ليست دليلا قاطعا على عدم طائفية الحزب، فالتحالف سياسي والثقافـة على الأرض والقواعد هي ثقافة قريبة من المذهبية"[٣٧].

طبعاً المختصين بشؤون الحزب وطريقة عمل الحزب وبنية التشيع الداخلية الباطنية، يدركون أهمية سلاح حزب ا الإعلامي والخطابي مع توافر "وحدات إعلامية خاصة بالتلاعب النفسي" لدى كوادره الإعلامية.

فهذا الشيخ الشيعي حسن الصفّار يقول: **"وفي الإطار المذهبي فإن المقاومة لا تخفي تشيعها، لكنها لا تطرح التشيع من زاويته الحادة، ويمكننـا أن نلاحـظ هـذه النقطة بجلاء في خطابات أمين عام حزب ا سماحة السيد حسن نصر ا - حفظه ا - حينما يحاضر في ليالي عاشوراء، حيث يعرض قضية أهل البيت عليهم السلام ويعرض التشيع بشكل يستقطب المسلمين بجميـع أطيـافهم ومـذاهبهم ... وفـي خصوص انتمائها السياسي والفكري، فإن المقاومة تعلن ارتباطها الوثيق بالجمهورية الإسلامية في إيران، وبالمرجعية والقيادة الدينية فيهـا، ولكـن خطـابهم خطـاب وطني..."**.

ثالثاً: يؤمن وجود حزب ا بذاته - و كونه مـرتبط بـإيران إلـى هـذه الدرجة- موطئ قدم للسياسة الإيرانية التي تسعى إلى استغلال مسألة "معادلاتهـا

---

(٣٧) انظر مقال: خطاب المقاومة، حسن الصفّار، ٢٠-٨-٢٠٠٦، علـى الـرابط التـالي: www.saffar.org/?act=artc&id=1020

لإسرائيل دون اصطدامها بها" إلى أبعد حدود على الرغم من بعدها الجغرافـي، ويعتبر حزب ا صلة الوصل في الموضوع، ويشكل ورقة عالية للمساومة على أي وضع من الأوضاع المصيرية التي تتعلق بإيران في أي وقت من الأوقـات على اعتبار أنها تستطيع تفجير الوضع عندما تريد وتهدئته عندما تريد أيـضاً. وخير دليل على ذلك من الواقع، فكلّما تندلع جولة من جولات المناكفـة تهـب الأصوات الإقليمية و الدولية للمطالبة بضرورة الاتـصال مـع إيـران بـشان الموضوع!!

تقوم إيران بتأمين السلاح والعتاد الكامل لحزب ا "لمناكفة" إسرائيل و ذلك ضمن معادلة داخلية محدودة – كما سنشرح فـي البـاب التـالي- لا تتجـاوز الحصول على مكاسب سياسية و إعلامية بالدرجة الأولى و ما يأتي بعد ذلك فهو فائض. والهدف من ذلك أن يلقى حزب ا شهرة كبيرة في العالم الإسلامي تمهد الطريق له لتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية من تحت البساط ودون أية مشاكل أو حزازيات، و إعطاء ثقل لإيران في المنطقة العربية و العمـل علـى اختراقهـا تمهيداً للسيطرة عليها في المستقبل، أو استغلال هذه المسألة من أجـل فـرض نفسها لاعباً أساسياً. بل إن هذا الدور الذي تقوم به إيران عبر حزب ا أصـبح مكشوفا للجميع بما فيهم الإسرائيليون أنفسهم.

في هذا الإطار، يصل أحد أشهر الخبراء في مجال الاستخبارات والباحـث في "مركز جافي للدراسات الإستراتيجية في جامعة تل أبيب" الـدكتور "افـرايم كام" في كتاب ألّفه بتكليف من وزارة الدفاع التي أصدرته ونشرته فيما بعد فـي العام ٢٠٠٤، ويشمل عرضاً لكثير من الوثائق التي ترصد تطور القوة العسكرية الإيرانية، فضلاً عن الاستغراق في تحليل الدوافع الكامنة خلـف الإسـتراتيجية التي تتبعها الجمهورية الإسلامية، وهو يستند إلى ألف ومائتي مرجـع ووثيقـة، إلي قناعة مفادها: "**إن إيران من ناحية عملية لا تعتبر إسرائيل العدو الأول لهـا ولا حتى الأكثر أهمية من بين أعدائها**".

فبحسب افرايم كام، فإنه "على الرغم من الخطاب السياسي الإيراني المناكف لإسرائيل إعلامياً، إلا أن الاعتبارات التي تحكم الإستراتيجية الإيرانية ترتبط بمصالحها ووضعها في الخليج و ليس بعدائها لإسرائيل، وهي تبدي حساسية كبيرة لما يجري في دول الجوار، وخاصة في العراق"[٣٨].

و قد جاء تقرير نشره معهد قيام معهد "omedia" البحثي الإسرائيلي ليؤكد فيما بعد على أن استهداف إيران لإسرائيل عبر الخطاب الإعلامي هدفه كسب مزيد من المؤيدين لها في المنطقة و هو مجرد ذريعة لتحقيق أهدافها!! طبعاً الكلام عن التأييد هنا هو تأييد الشعوب لها، أي الاختراق للطبقة الشعبية كما سبق و تحدثنا.

يقول تقرير معهد "omedia" البحثي الإسرائيلي الذي جاء بعنوان "إيران في حاجة لإسرائيل" للباحث زيو مائور: "**إن إيران لا تشكل أي خطر على إسرائيل ولا تريد تدميرها، بل هي في حاجة لإسرائيل وتعتبرها مكسباً إستراتيجياً هامًا حتى تظل قوة عظمى في المنطقة و هي تستغل و تستخدم "إسرائيل" كذريعة لتحقيق أهدافها ولدعم مكانتها الإقليمية ولنشر مبادئ الثورة الإيرانية تحت شعار "معاداة إسرائيل"، ويضيف التقرير بأن التصريحات الدعائية الإيرانية ضد الولايات المتحدة الأمريكية هي من باب الاستهلاك الإعلامي فقط**"[٣٩].

---

(٣٨) انظر مقالنا: أسطورة الضربة الإسرائيلية العسكرية لايران، علي حسين باكير، مجلة آراء حول الخليج، مركز الخليج للأبحاث، العدد ٢٤، سبتمبر ٢٠٠٦، ص٨٣.

(٣٩) نفس المرجع السابق.

القسم الثاني

حزب الله و الكيان الصهيوني

نعرض في هذا الباب العلاقة بين حزب ا والكيان الصهيوني على ثـلاث مراحل زمنية نرى أنها تحدد إطار العلاقة بين الطرفين دون إن ننسى دائما أننا نتناول التحليل المتعلّق بإحداث رؤية شمولية جامعة متسلسلة متتابعة لنصل إلى توصيف دقيق وموضوعي عن طبيعة منهج وفكـر حـزب ا فيمـا يتعلـق بإسرائيل، و ليس من منظور جزئي يقوم على تفسير كل اشتباك لوحده وعزلـه عما سبقه وتلاه وما نتج عنه ومنه، على أن نتبين من خلال التحليل كيف يضبط الحزب نسق مواقفه من إسرائيل بما يتلاءم و يخدم المصالح الإقليمية.

كانت منظمة التحرير في لبنان ومن يقاتل معها مـن اللبنـانيين والعـرب المتعاطفين مع القضية الفلسطينية رأس الحربة في مواجهة إسرائيل، في حين إن دور المنظمة أزعج كثيراً لاعبين إقليميين بالأساس، الأول الذي هـو إسـرائيل التي أصبحت تخشى من نفوذ المنظمة المتزايد في لبنان ومن الهجمات التي تتم عليها من العمق اللبناني عبر حدودها الشمالية.

واللاعب الإقليمي الثاني هو سوريا التي رأت أن نفوذ المنظمة في لبنـان حالة شاذة تضر بالأمن القومي السوري الذي يفترض أن يكون النفـوذ فـي لبنان سوريا قبل كل شيء خاصة بعد أن هدأت جبهة الجولان بعد حرب الـ ١٩٧٣.

إذ نقل عن ياسر عرفات قوله للأسد عند اجتماعه به في ١٩٧٦/٣/٢٧: إن قلب المقاومة ومستقبلها موجود فـي لبنـان، وإن إرهـاب الجـيش الـسوري والصاعقة لن يفيد، وإنه يعز علينا أن نصطدم بالجيش السوري ونحـن علـى

مرمى مدفعية العدو الـصهيوني والأسـطول الـسادس الأمريكـي. فكـان رد الأسد: "ليس هناك كيان فلسطيني، وليس هناك شعب فلسطيني، بل سوريا وأنتم جزء من الشعب السوري، وفلسطين جزء من سوريا، وإذن نحـن المـسئولون السوريون الممثلون الحقيقيون للشعب الفلسطيني"(٤٠).

و قد زاد من نقمة سوريا خلاف منظمة التحرير مع حافظ الأسد، ذلـك أن المنظمة لم تسمح لنفسها أن تكون في خدمته، إذ لم يستفد الأسد مـن عمليـات المنظمة ضد إسرائيل ولم يستطع تجييرها لصالحه في أية عملية تسوية ممكنـة، حتى انعكس الأمر وأصبح أمر التدخل في لبنان لقمـع المقاومـة الفلـسطينية والتنظيمات المؤيدة لها هو الورقة الرابحة للنظام السوري والتي يستطيع عبرها ابتزاز إسرائيل والولايات المتّحدة والحصول منهم على أية مطالب يريدها مقابل تدخّله في لبنان لقمع الفلسطينيين.

يقول صلاح خلف "أبو إياد": أرسل ياسر عرفات اثنتي عشرة رسالة إلـى حافظ الأسد يطالبه بفك الحصار المفروض علينا في بيروت، وعندما لـم يتلـق جواباً أرسل مبعوثاً خاصاً، وبعد أن سلم رسالة عرفات، وعرض عليـه سـوء الأوضاع وصلف العدو، أجاب الأسد: "أنـا أريـد أن تهلكـوا جميعـاً لأنكـم أوباش"(٤١).

ونقلت الشرق الأوسط في ١٩٧٧/٨/١٨ في تعليق لها على اجتماع الأسد بكارتر في جنيف: "إن عملية إخضاع المقاومة اللبنانية والفلسطينية في لبنـان، كانت جزءاً من إستراتيجية كبيرة، لإضعاف المقاومة ومعارضي التسوية، وقدم

---

(٤٠) راجع: كتاب كمال جنبلاط بعنوان "هذه وصيتي"، ص١٠٥.

(٤١) أنظر مقال: "وقفة مع الدكتور حبش"، خالد الأحمد، رابطة أدباء الشام، على الرابط التالي: http://www.odabasham.net/show.php?sid=8070

كارتر للأسد مكافأته بالاستجابة إلى طلبه والاجتماع به في جنيف بدلاً من واشنطن، كما كان يفعل مع غيره من الرؤساء العرب"[٤٢].

وصرح موشي دايان لوكالة الصحافة الفرنسية في ٥/ ١٩٧٦/٦ قائلاً: إن على إسرائيل أن تظل في موقف المراقب، حتى لو غزت القوات السورية بيروت واخترقت الخط الأحمر، لأن غزو القوات السورية للبنان، ليس عملاً موجهاً ضد أمن إسرائيل[٤٣]. ونقلت إذاعة إسرائيل عند بداية التدخل السوري في لبنان تصريحاً لرئيس وزراء إسرائيل إسحق رابين قال فيه: "إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم دعم للفلسطينيين، ويجب علينا أن لا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة بالنسبة لنا"!![٤٤].

وصرح شمعون بيريز وزير دفاع العدو الصهيوني آنذاك: "أن هدف إسرائيل هو نفس هدف دمشق بالنسبة للمسألة اللبنانية، ... يجب أن نمنع وقوع لبنان تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية"[٤٥]

التدخل السوري لقمع المقاومة الفلسطينية أتى أكله عندما أصبح المقاومون بين فكي كماشة في العام ١٩٨٢ تاريخ الغزو الإسرائيلي للبنان بعد عملية جنوب الليطاني عام ١٩٧٨حيث تقدمت القوات الإسرائيلية في اجتياحها إلى

---

(٤٢) نفس المرجع السابق.

(٤٣) نفس المرجع السابق.

(٤٤) أنظر: عبدا الغريب، "وجاء دور المجوس"، النسخة الالكترونية، (ص٤١٨).

(٤٥) وكالة الصحافة الفرنسية ٢٩ أيلول ١٩٧٦، عن كتاب "أمل و المخيمات الفلسطينية"، عبدا غريب، النسخة الالكترونية.

بيروت، "بهدف حماية المستوطنات الشمالية مـن هجمـات منظمـة التحريـر الفلسطينية"[٤٦].

وبعد عامين ونصف من الغزو وفي ١٤ كانون الثاني ١٩٨٥ جاء تصويت الحكومة الإسرائيلية لصالح الانسحاب في غضون بضعة أشهر بنـسبة سـاحقة بلغت ١٦-٦[٤٧].

يقول الباحث "الإسرائيلي" دانييل سوبلمان: "أحرز غـزو قـوات الـدفاع الإسرائيلية ودخولها إلى بيروت الهدف الأول من العملية العسكرية وإخراج قائد منظمة التحرير الفلسطينية "ياسر عرفات" من لبنان، وعلى الـرغم مـن هـذا الإنجاز وجدت إسرائيل نفسها في تورط أكبر من حيث الـزمن والعمـق مـن الناحية العسكرية والسياسية أكثر مما توقعت في الأصل".

هذا التورط نستطيع أن نلخّصه للقارئ بالتالي:

أولا: وجود قوات سورية عسكرية في لبنان، مما يعنـي أن أي انـسحاب إسرائيلي من لبنان في ذلك الوقت بالتحديد قد يعطي أفضلية للنظام السوري في تطويق إسرائيل.

ثانيا: صحيح أن منظمة التحرير قد رحلت من لبنان، لكن حل محلّها شيء اسمه "الفوضى"، ويجب أن نركز جيداً على عنصر الفوضى، فعنصر الفوضـى هو أكبر خطر ممكن أن يصيب إسرائيل على حدودها مع لبنان.

لذلك على الرغم من قرارها الانسحاب كما رأينا، إلا أنها لم تنسحب خوفـا من التطورات التي السلبية التي قد تحصل لغير صالحها في لبنان. هكذا انقلبـت المصلحة - كما سبق أن انقلبت مع سوريا بخصوص المقاومة الفلسطينية فـي

---

(٤٦) دانييل سوبلمان، كتاب " قواعد جديدة للعبة: اسرائيل و حزب ا بعد الانـسحاب مـن لبنان"، على الرابط التالي:
www.dascsyriamag.net/modules/news/article.php?storyid=91&page=1

(٤٧) نفس المرجع السابق.

لبنان - فبدلا من أن يتم تنفيذ الانسحاب للمصلحة الإسـرائيلية وفـق مـا تـم التصويت عليه، أصبحت المصلحة تقتضي التواجد العسكري في لبنان.

حاولت إسرائيل تلافي وضع "الفوضى" وتأثيراته السلبية عليها **بأن** "تبحـث عن أكثر فصيل منظّم و قادر من الناحية الميدانية في الجنـوب ليـستلم زمـام الأمور بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر عبر ترتيبات ضمنية غيـر معلنـة". رأت إسرائيل في "حركة أمل" الفصيل المنشود الذي تتوافر فيه المزايا الـسابق ذكرها، فحاولت استمالتها لتأدية هذا الدور. و نقلت وكالات الأنباء في ٦ يونيو ١٩٨٥م عن رئيس الاستخبارات العسكرية اليهودية أهود براك قوله: "**إنه علـى ثقة تامة من أن "أمل" ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبنـاني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجـد فـي الجنـوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية**"[٤٨].

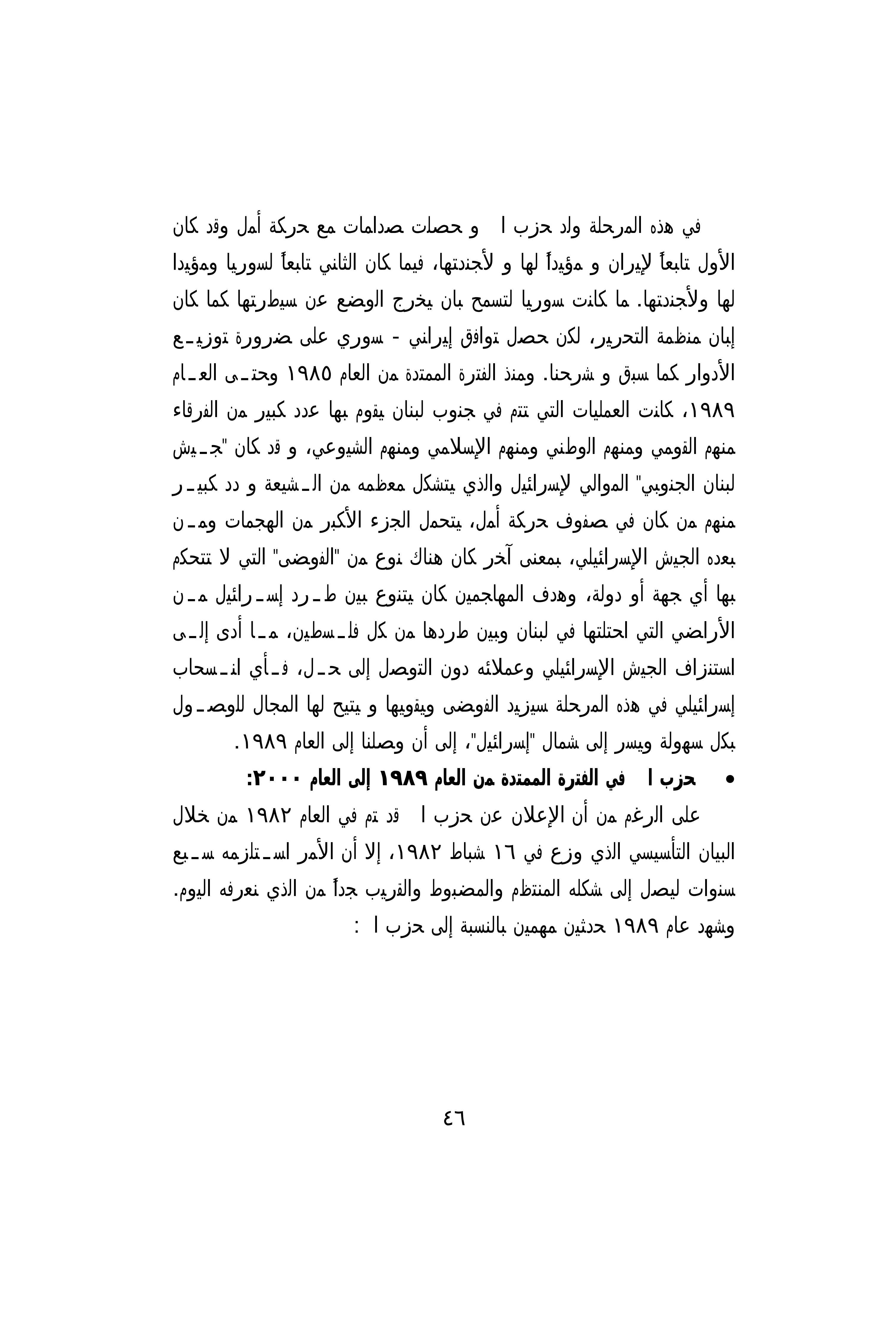
وقد استفادت سوريا من وضع إسرائيل المحرج هذا من عدة أوجه و بـدلا من أن يصبح خروجها مطلباً سورياً، انعكست الآية وأصـبح وجودهـا مطلبـاً سوريا لتحقيق التالي:

أولا: قامت بتعزيز نفوذها في لبنان، و قد كانت دائما ما تبـرر وجودهـا بوجود إسرائيل، فوقعنا في قضية البيضة والدجاجة كل طرف لا يريد الانسحاب قبل أن ينسحب الطرف الآخر.

ثانيـا: أوجدت سوريا حلفاء لها وأحكمت سيطرتها على الـداخل اللبنـاني بحيث أصبح وجود الطرف الإسرائيلي في لبنان وجودا استنزافيا إن انسحب من دون ضمانات واتفاقات مع سورية سيشكل ذلك خطراً كبيراً عليـه، وإن بقيـت ستتعرض للابتزاز وللعمليات وللضغوط العسكرية في لبنـان والـسياسية فـي إسرائيل.

---

(٤٨) راجع: عبدا غريب، "أمل و المخيمات الفلسطينية"، النسخة الالكترونية.



في هذه المرحلة ولد حزب ا و حصلت صدامات مع حركة أمل وقد كان الأول تابعاً لإيران و مؤيداً لها و لأجندتها، فيما كان الثاني تابعاً لسوريا ومؤيدا لها ولأجندتها. ما كانت سوريا لتسمح بان يخرج الوضع عن سيطرتها كما كان إبان منظمة التحرير، لكن حصل توافق إيراني - سوري على ضرورة توزيع الأدوار كما سبق و شرحنا. ومنذ الفترة الممتدة من العام ١٩٨٥ وحتى العام ١٩٨٩، كانت العمليات التي تتم في جنوب لبنان يقوم بها عدد كبير من الفرقاء منهم القومي ومنهم الوطني ومنهم الإسلامي ومنهم الشيوعي، و قد كان "جيش لبنان الجنوبي" الموالي لإسرائيل والذي يتشكل معظمه من الشيعة و دد كبير منهم من كان في صفوف حركة أمل، يتحمل الجزء الأكبر من الهجمات ومن بعده الجيش الإسرائيلي، بمعنى آخر كان هناك نوع من "الفوضى" التي لا تتحكم بها أي جهة أو دولة، وهدف المهاجمين كان يتنوع بين طرد إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في لبنان وبين طردها من كل فلسطين، ما أدى إلى استنزاف الجيش الإسرائيلي وعملائه دون التوصل إلى حل، فأي انسحاب إسرائيلي في هذه المرحلة سيزيد الفوضى ويقويها و يتيح لها المجال للوصول بكل سهولة ويسر إلى شمال "إسرائيل"، إلى أن وصلنا إلى العام ١٩٨٩.

- **حزب ا في الفترة الممتدة من العام ١٩٨٩ إلى العام ٢٠٠٠:**

على الرغم من أن الإعلان عن حزب ا قد تم في العام ١٩٨٢ من خلال البيان التأسيسي الذي وزع في ١٦ شباط ١٩٨٢، إلا أن الأمر استلزمه سبع سنوات ليصل إلى شكله المنتظم والمضبوط والقريب جداً من الذي نعرفه اليوم. وشهد عام ١٩٨٩ حدثين مهمين بالنسبة إلى حزب ا :

- تمثّل الحدث الأول بعقده للمؤتمر التنظيمي الأول للحزب حيـث بـرز الشيخ صبحي الطفيلي كأول أمين عام له(٤٩).

- و تمثّل الثاني بالتوصل إلى "اتفاق الطائف" في ٣٠ أيلـول ١٩٨٩ فـي المملكة العربية السعودية(٥٠).

شكّل اتّفاق الطائف أساساً جديداً لبناء الدولة اللبنانية وإنهاء الحرب الأهلية، وفيما يتعلق بموضوع بحثنا نص اتفاق الطائف في البنـد الأول تحـت عنـوان "بسط سيادة الدولة على كامل أراضيها" على سحب سـلاح جميـع الميليـشيات اللبنانية وغير اللبنانية، وعلى تسليم أسلحتها للدولة اللبنانية خلال سـتة أشـهر، وتحت البند رقم ٤ على إعادة انتشار الجيش السوري داخل لبنان خـلال مـدة أقصاها سنتين ليتراجع إلى البقاع ونقاط محددة يتم الاتفاق عليها علـى أن يـتم بحث مصير الجيش السوري بين الحكومتين فيما بعد.

وفيما يتعلق بالاحتلال الإسرائيلي، و مما جاء تحت عنوان "تحرير لبنـان من الاحتلال الإسرائيلي" نصت الفقرة (ج) ونشر الجيش اللبناني فـي منطقـة الحدود اللبنانية المعترف بها دولياً والعمل على تدعيم وجود قـوات الطـوارئ الدولية في الجنوب اللبناني لتأمين الانسحاب الإسرائيلي ولإتاحة الفرصة لعـودة الأمن والاستقرار إلى منطقة الحدود.

باختصار، فان هذا الاتفاق يؤدي إلى قيام دولة لبنانية وينهي الميليـشيات، ويحدد دور سوريا على أن تنسحب فيما بعد، كما ويؤمن لإسرائيل البيئة الآمنـة للحدود مما يدفعها إلى الانسحاب والذي كانت أصلاً قد قررته كما رأينا في ١٤ كانون الثاني ١٩٨٥ بقرار للحكومة الإسرائيلية، لكنها لم تستطع تنفيـذه لعـدم

---

(٤٩) راجع: نهاد حشيشو، "الأحزاب في لبنان"، مركز الدراسات الاسـتراتيجية والبحـوث والتوثيق، بيروت،ط١، ١٩٩٨، ص١١١، هامش رقم٣٩.

(٥٠) أنظر نص اتّفاق الطائف على موقع الجزيرة نت على الرابط التالي: www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=108452

وجود ضامن للحدود يستطيع كبحها أو منع الفوضى فيها مما سيؤثر على العمق الإسرائيلي.

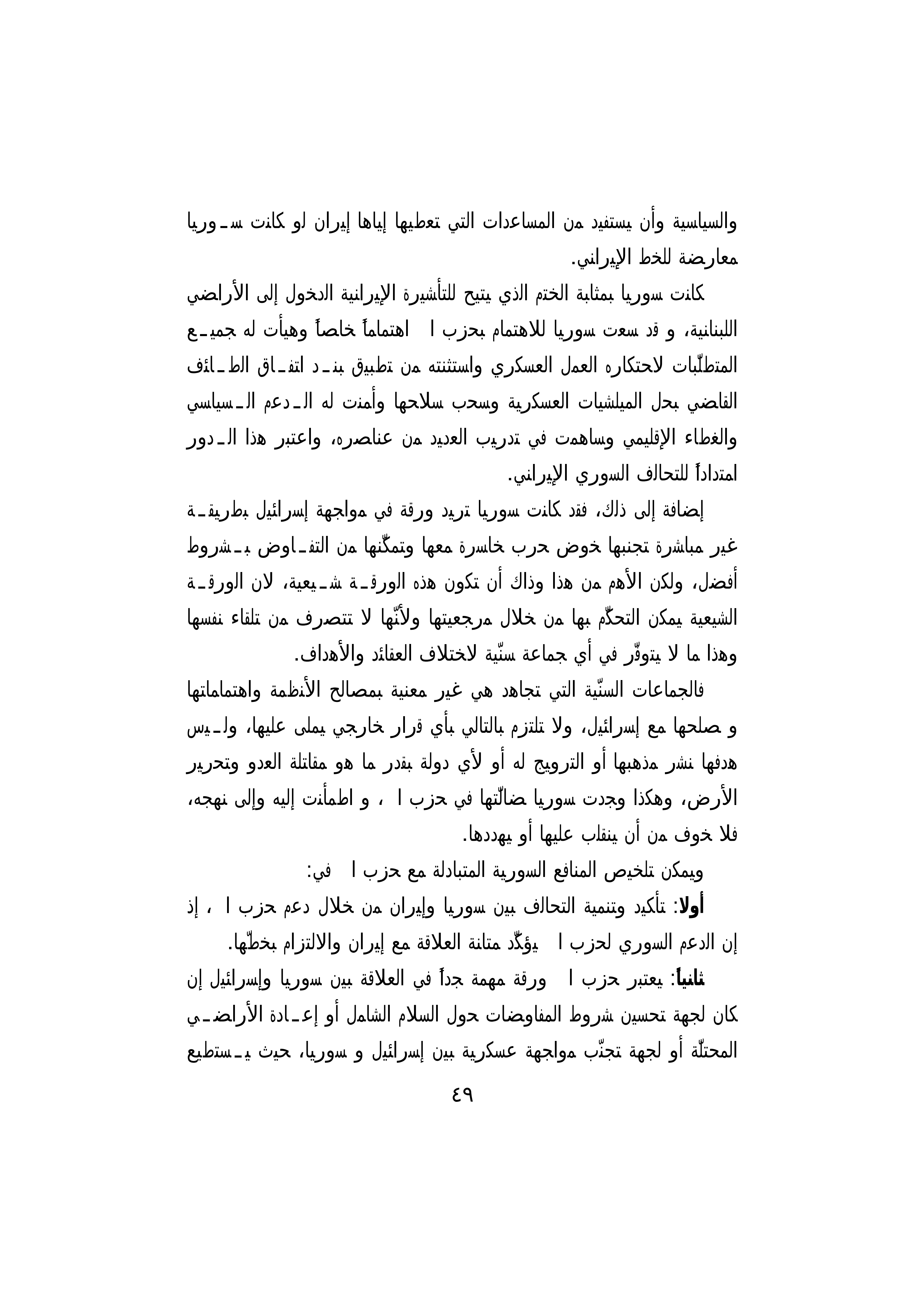
الذي حصل فيما بعد أن السوريين قاموا بتطبيق مشوه لاتفاق الطائف بغرض الإجهاز عليه بطريقة التفافية لان الوضع الراهن آنذاك كان في مصلحتهم. فكان من أول ما طبقوه سحب سلاح جميع الميليشيات مستثنين من ذلك سلاح حزب ا !!.

فإذا كانت حجة البعض أن حزب ا ليس ميليشيا، فان هذه الحجة أيضا تنطبق على غيره ممن قامت سوريا بسحب سلاحهم، بل أن حزب ا هو آخر من وصل إلى قافلة المقاومة إن صح التعبير، وهناك العديد من الأحزاب التاريخية المشهود لها بالبدء بمقاومة إسرائيل ومع ذلك فقد تم سحب سلاحهم جميعاً، وهو ما يدفع المراقب إلى التساؤل: لماذا فقط حزب ا ؟! قد يقول البعض إن الاحتكاك مع إسرائيل في الجنوب يستلزم أن يكون الفصيل شيعياً، فلماذا كان حزب ا فقط دون غيره من الأحزاب الشيعية على سبيل المثال؟!

باعتقادي أن الجواب على هذه النقطة يوضح كل الأمور المبهمة ويعكس للقارئ كيف أن الحزب هو مجرد أداة لكل من سوريا و إيران.

إن اختيار سوريا لأي فصيل "غير شيعي" سواء كان لبنانياً أم غير لبناني، لم يكن ليفيدها في شيء طالما أن مرجعيته ليست سوريا، أو لا تستطيع السيطرة عليه أو لا يأخذ حساباتها بعين الاعتبار. ضمن هذا المعيار كان أمام سوريا خياران: إما حركة "أمل" وإما "حزب ا "، لكن وقوع خيار سوريا على حركة أمل برأيي كانت ستعترض عليه إيران، بالإضافة إلى انّه سبق وتم توزيع الأدوار في أن يكون دور حركة أمل محصوراً في الشق السياسي، فكان أن ظل الخيار الثاني و هو خيار حزب ا .

توطّدت العلاقة بين الطرفين إلى أن أصبحت علاقة قوية جداً، إذ ما كان الحزب ليستطيع إن يقف على قدميه على كافة الصعد المادية والعسكرية



والسياسية وأن يستفيد من المساعدات التي تعطيها إياها إيران لو كانت سـوريا معارضة للخط الإيراني.

كانت سوريا بمثابة الختم الذي يتيح للتأشيرة الإيرانية الدخول إلى الأراضي اللبنانية، و قد سعت سوريا للاهتمام بحزب ا اهتماماً خاصاً وهيأت له جميـع المتطلّبات لاحتكاره العمل العسكري واستثنته من تطبيق بنـد اتفـاق الطـائف القاضي بحل الميلشيات العسكرية وسحب سلاحها وأمنت له الـدعم الـسياسي والغطاء الإقليمي وساهمت في تدريب العديد من عناصره، واعتبر هذا الـدور امتداداً للتحالف السوري الإيراني.

إضافة إلى ذلك، فقد كانت سوريا تريد ورقة في مواجهة إسرائيل بطريقـة غير مباشرة تجنبها خوض حرب خاسرة معها وتمكّنها من التفـاوض بـشروط أفضل، ولكن الأهم من هذا وذاك أن تكون هذه الورقـة شـيعية، لان الورقـة الشيعية يمكن التحكّم بها من خلال مرجعيتها ولأنّها لا تتصرف من تلقاء نفسها وهذا ما لا يتوفّر في أي جماعة سنّية لاختلاف العقائد والأهداف.

فالجماعات السنّية التي تجاهد هي غير معنية بمصالح الأنظمة واهتماماتها و صلحها مع إسرائيل، ولا تلتزم بالتالي بأي قرار خارجي يملى عليها، ولـيس هدفها نشر مذهبها أو الترويج له أو لأي دولة بقدر ما هو مقاتلة العدو وتحرير الأرض، وهكذا وجدت سوريا ضالّتها في حزب ا ، و اطمأنت إليه وإلى نهجه، فلا خوف من أن ينقلب عليها أو يهددها.

ويمكن تلخيص المنافع السورية المتبادلة مع حزب ا في:

أولا: تأكيد وتنمية التحالف بين سوريا وإيران من خلال دعم حزب ا ، إذ إن الدعم السوري لحزب ا يؤكّد متانة العلاقة مع إيران والالتزام بخطّها.

ثانياً: يعتبر حزب ا ورقة مهمة جداً في العلاقة بين سوريا وإسرائيل إن كان لجهة تحسين شروط المفاوضات حول السلام الشامل أو إعـادة الأراضـي المحتلّة أو لجهة تجنّب مواجهة عسكرية بين إسرائيل و سوريا، حيث يـستطيع

الحزب توجيه ضربات لإسرائيل دون أن تكون الأخيرة قادرة على الرد على سوريا لعدم وجود أي دليل حسي يخولها القيام بالانتقام من سوريا. (تغيرت المعادلة بعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠).

ثالثاً: يضمن الحزب بالمقابل وصول المساعدات عبر سوريا، كما انّه يضمن قيام السوريين بتذليل أية عقبات أو اعتراضات داخلية في لبنان على توجهه على اعتبار أن للوجود السوري تأثيراً كبيراً على كافّة الفرقاء في لبنان.

رابعاً: يوفّر وجود حزب ا في لبنان عناء قيام سوريا بفتح جبهة لديها على صعيد المقاومة في الجولان مثلاً لأن الذين سيقاومون حينها لن يهتموا كما شرحنا لأهداف النظام. لقد كانت أدبيات الحزب حتى تاريخه تشير إلى انّه سيتعامل مع "إسرائيل" ككيان غاصب و انّه – أي الحزب - ملتزم بمحاربة إسرائيل و عدم الاعتراف بها و بتحرير القدس!![٥١].

بالنسبة لإسرائيل، فهي في نفس الوضع الذي كانت عليه منذ دخول لبنان، واقعة في مأزق لا تستطيع الانسحاب ولا تستطيع التقدم و تتلقى الضربات، مع فارق واضح طرأ على المعادلة الخاصة بها وهو إنهاء حالة "الفوضى" التي تشكل تهديداً كبيراً لها، لكن مع عدم وجود جهة قادرة على إحكام السيطرة على الحدود اللبنانية، وحصر المقاومة عمليا بحزب ا فقط المدعوم من سوريا وإيران. و كان لهذا دلالات عديدة منها:

أولاً: إن حصر المقاومة بحزب ا يعني أن على إسرائيل إن تأخذ بعين الاعتبار المطالب السورية و الإيرانية عند أي تحرك له.

ثانياً: إن سوريا لا تريد تطبيق اتفاق الطائف وبالتالي لم يتم تهيئة الأجواء للانسحاب الإسرائيلي كما كان متوقعاً، و هذا يعني أن سوريا تريد أن تظل إسرائيل في هذا المأزق تتلقى الضربات دون أن تكون قادرة فعلياً على أداء

---

(٥١) راجع الوثيقة التأسيسية للحزب.

أكثر من ردات فعل محدودة، بانتظار أن تقدم إسرائيل عرضاً لسوريا حول الموضوع اللبناني أو أي مفاوضات سلام.

ثالثاً: العدو المفترض لإسرائيل أصبح معروفاً ومحدداً ومرجعيته واضحة وهذه هي النقطة الايجابية الوحيدة لإسرائيل في الموضوع، فهي إذا أرادت التفاوض تعلم مع من ستتفاوض، وإذا أرادت الضغط تعلم على من تضغط وإذا أرادت القصف تعرف أين تقصف، وإذا سقط لها جنود فتعرف أين وكيف ومن قام بذلك، أما في حالة "الفوضى" أو الفراغ فهي غير قادرة على فعل شيء وهذا ما كان يخيف إسرائيل ويمنعها من الانسحاب.

في العام ١٩٩٢، دخل سلاح "الكاتيوشا" إلى أرض المعركة لأول مرة، وفي العام ١٩٩٣ قام حزب ا بتنفيذ ٤٢٣ عملية أدت فيما يخص الشق "الإسرائيلي" إلى مقتل ٢٣ جندياً إسرائيلياً وجرح ١٠٠، وعمل على مواكبة "مفاوضات مدريد" مع سوريا من خلال تركيز الضغط على جيش الاحتلال.

و في ١٩٩٣/٧/٢٥، قامت إسرائيل بعملية "تصفية الحساب"، واستمرت أسبوعاً كاملاً، وكانت نتيجتها تدميراً واسعاً في أكثر من ٧٠ قرية وبلدة وتهجير حوالى ٣٠٠ ألف مواطن وسقوط أكثر من ١١٥ شهيداً من المدنيين.

وفي تقرير أمني رسمي ذكر أن العدو شن ١١٢٤ غارة وقصف ٢٨ ألف قذيفة. أما رد حزب ا فكان بصواريخ "الكاتيوشا" على المستعمرات داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة ومواقع الجيش الإسرائيلي والميليشيات المتعاملة معه في الحزام الأمني[٥٢].

---

(٥٢) انظر مقال: "أبرز محطات المقاومة في لبنان ١٩٨٢-٢٠٠١"، حسن السبع، جريدة السفير اللبنانية، الخميس ٢٤ ايار ٢٠٠١.

أدت هذه العملية إلى تفاهم عرف باسم "تفاهم تموز ١٩٩٣"، و هو تفـاهم شفهي بين "حزب ا " و"إسرائيل" يقوم على تجنيب المدنيين في أي معارك. وقد قامت إسرائيل لأول مرة باختبار منهج الحزب وطريقة تفكيره وعمله، وهل هي جدية أم دعائية، وما هي قدرات الحزب الحقيقية.

وفيما كان الحزب يقوم بدوره الدعائي الذي شرحناه فـي "البـاب الأول" مصوراً التفاهم على أنه انتصار للحزب، كانت الحقيقة التي لا يذكرها أحد على الإطلاق أن التفاهم قد أدى إلـى اعتـراف الحـزب بـشيء اسـمه "مـدنيين إسرائيليين"!! هذا ما لا تظهره أجهزة الدعاية لدى الحزب وأنصاره على سـبيل المثال. ويبدو أن إسرائيل وعت من خلال هذه الحرب أن الحزب هـو حـزب براغماتي فيما يتعلق بها وليس كما تعكس شعاراته. و لو تم تفسير قبوله بهـذا التفاهم على انه قد تم رغما عنه، فهذا يعني انّه هزم و لم ينتصر!!

يقول الكولونيل احتياط في الجيش الصهيوني رؤوفين ارلـيخ: "كـان فـي صلب هذه التفاهمات **التزام "حزب ا " بعدم إطلاق الكاتيوشا بعـد اليـوم باتجـاه الأراضي الإسرائيلية، والتزام من جانب إسرائيل بعدم إطلاق النـار علـى البلـدات اللبنانية الواقعة شمالي المنطقة الأمنية إلاّ إذا أطلقت النار على الجيش الإسـرائيلي من داخل البلدة نفسها"**[٥٣].

يضيف: كان للإتفاق غير الرسمي عدد من "نقاط الضعف":

١- التفاهمات الشفهية كانت غامضة، ومتعلقة إلى حد كبير بتصميم إسـرائيل على التمسك بها.

---

[٥٣] راجع: دراسة بعنوان "الاتفاقات، الترتيبات والتفاهمات التي تم التوصل اليها قبل حرب لبنان، في اطار مواجهة – الارهاب - الفلسطيني وعلى خلفية الحرب الأهلية في لبنان والاجتياح السوري، إعداد كولونيل احتياط دز رؤوفين ارليخ، مركز المعلومات حـول الاستخبارات والارهاب في مركز تراث الاستخبارات الصهيوني.

٢- لم يكن الإتفاق مصحوباً بنظام ضبط ومراقبة. رفـضت سـوريا فـرض الإتفاق على "حزب ا " بدعوى أن تأثيرها على "حزب ا " محدود.
٣- لم يلتزم "حزب ا " بوقف العمليات الإرهابية بما في ذلك إطلاق الكاتيوشا باتجاه "المنطقة الأمنية"، وكان من المتوقع إن يزداد الضغط عليه.

بالرغم من "نقاط الضعف" هذه، فقد صمدت هذه التفاهمات حـوالي ثـلاث سنوات، إلى أن تآكلت مما اضطر إسرائيل للخروج بحملة أخرى علـى نطـاق أوسع، حملة "عناقيد الغضب".

على الرغم من أن "ارليخ" يدعي أن حزب ا هو الذي خرق التفـاهم، إلا إن الصحيح أن الخرق كان متبادلاً، بل إن إسرائيل هي التي عملت على فـرط التفاهم، لأنها رأت – حسبما أعتقد - أن الحزب سيقدم مزيداً من التنازلات فـي مرحلة لاحقة – تابعوا فيما بعد تفاهم نيـسان ١٩٩٦ - وأنـه لا شـيء يلـزم إسرائيل بالتزام هذا التفاهم.

في عام ١٩٩٤، نفّذ حزب ا ٥١٣ عملية أدت إلى سقوط ٢٦ قتيلاً و٨٣ جريحاً فيما يتعلق بإسرائيل ووفق إحصائياتها، وسقط لحزب ا ٦٩ رجـلاً و٥ أسرى[٥٤]. وفي العام ١٩٩٥، نفذت المقاومة نحو ٨٧٦ عملية أدت إلى قتل ٢٩ إسرائيلياً و١٦٥ جريحاً[٥٥].

في العام ١٩٩٦، رأت إسرائيل أن قوة حزب ا قد ازدادت وأن التفاهم بدأ يتآكل، فقررت اللجوء إلى عملية عسكرية للتوصل إلى تفـاهم سياسـي آخـر. وبالفعل بدأت عملية "عناقيد الغضب" الإسرائيلية في ٢-٤-١٩٩٦، واسـتمرت ١٧ يوماً قامت إسرائيل خلالها بالاعتداء على لبنان جواً و براً و بحراً مستهدفة البنى التحتية والمنشآت الحيوية للدولة اللبنانية من محطات كهرباء ومياه وقامت

---

(٥٤) حزب ا يقول ٤٧ قتيلاً و٦٦ جريحاً. راجع: أبرز محطات المقاومة...، حسن السبع، مرجع سابق.

(٥٥) أرقام حزب ا تقول نحو ٦٠ قتيلاً و ٢٠٨ جريح. نفس المرجع السابق.

بارتكاب مجزرة كبيرة في "قانا" عبر قصف ملجأ في مركز للقوة الدولية في قانا هرب إليه الناس للاحتماء من الغارات فقتل أكثر من ١٣٠ مدنياً وسقط ١٥٠ جريحاً.

لقد أدت هذه الحرب إلى ما يسمى "تفاهم نيسان ١٩٩٦" و الذي يجب علينا تحليله بدقّة متناهية لمعرفة ماهيته التي قامت وسائل الإعلام التابعة لحزب ا والكتاب والمناصرون بإخفائها والترويج للجانب الايجابي فيه على أنه نصر مؤزر.

التفاهمات التي تم التوصل إليها كانت مختلفة من حيث المضمون، عن تفاهمات "تصفية الحساب" وذلك في مجالين هامين:

١- وضعت التفاهمات خطياً من أجل تجنب أي خلافات أو سوء فهم.

٢- أقيم نظام إشراف دولي على هيئة "لجنة المتابعة" التي شكلت إطاراً للحوار المباشر بين ضباط الجيش الإسرائيلي وبين الضباط السوريين واللبنانيين وذلك تحت رعاية أمريكية وفرنسية.

يقول "رؤوفين ارليخ": "**كانت الغاية من التفاهمات هي تشكيل "قواعد اللعبة" لسير المواجهة في لبنان، من خلال منع التدهور بين إسرائيل وسوريا وبإخراج السكان المدنيين من كلا طرفي الحدود خارج المواجهة.** أسس التفاهمات بين إسرائيل ولبنان التي التزمت بها أيضاً (سوريا بصفتها طرفاً غير مباشر)"[٥٦].

نستخلص من خلال هذه الفقرة المهمة جداً عدة عناصر يجب التركيز عليها:

أولاً: **نلاحظ أن هناك شيء اسمه "قواعد لعبة" بدأت تتشكل بين إسرائيل وحزب ا** ، وكانت أولى تجاربها بالتفاهم الشفهي السابق والذي تحول في هذه الحرب

(٥٦) دراسة أرليخ، مرجع سابق.

إلى تفاهم خطي مما يؤكد على التطور في البراغماتية لدى الحزب وعلى الرغبة بالالتزام.

ثانياً: نلاحظ أن الكولونيل قد ذكر جملة مهمة جداً وهي "منع التدهور بـين إسرائيل وسوريا"!! ما علاقة سوريا في الموضوع؟ الحرب حصلت بين إسرائيل وحزب ا ، وتم تدمير لبنان والقتلى كلهم لبنانيون؟!

هذه الجملة تؤكّد أن الإسرائيليين يعلمون أن الحزب أداة يتم استخدامها بين إيران كما سبق وذكرنا وفي هذه الحالة "سوريا"، وإلا لو لم يكن الأمر كذلك لقال "منع التدهور بين إسرائيل وحزب ا " لكي يشير إلى استقلاليته، أو لقال إذا أراد التعميم "لمنع التدهور بين إسرائيل ولبنان".

هذا وقد نص "تفاهم نيسان ١٩٩٦" على عدد من النقاط المهمة هي(٥٧):

١- إن المجموعات المسلّحة في لبنان لن تقوم بهجمات بصواريخ الكاتيوشا، أو أي نوع آخر من السلاح إلى داخل إسرائيل.

٢- إن إسرائيل والمتعاونين معها لن يطلقوا أي نوع من السلاح على المدنيين، أو الأهداف المدنية في لبنان.

٣- بالإضافة إلى هذا، يلتزم الطرفان بالتأكد من عدم كـون المـدنيين هـدفاً للهجوم تحت أي ظروف، وعدم استخدام المناطق المدنية الآهلة والمنشآت الصناعية والكهربائية قواعد إطلاق للهجمات.

٤- بدون خرق هذا التفاهم لا يوجد ما يمنع أي طرف من ممارسة حق الدفاع عن النفس.

لا أعرف كيف تم تحويل هذا الاتفاق إلى نصر مبين لصالح حزب ا على إسرائيل!!

---

(٥٧) راجع نص تفاهم نيسان ١٩٩٦، منشور على موقع الجزيرة.نت. على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/18DE9EFB-0161-4152-88EA-49F610C4B30D.htm

يعدد أصحاب مقولة انتصار "حزب ا " عدداً من النقاط لصالحهم في هـذا الاتفاق و منها:

١- تجنيب المدنيين اللبنانيين القصف الإسرائيلي. (كأن القاعدة يجب إن تكون برأي أصحاب هذا التبرير هي استهداف المدنيين، وأن النجاح والانتـصار يكمن في إن نمنع عنهم القصف!!).

٢- إن الاتفاق هو اعتراف بشرعية المقاومة اللبنانية من قبل إسرائيل!! (كـأن المقاومة في أي بلد في العالم تعمل من باب أن يعترف بها الآخـر، فـان اعترف فهذا انتصار لها وإن لم يعترف فهزيمة!! هذا المنطق لا يتّبعه إلا من يريد ثماراً سياسية، عندها فهو نعم يحتاج إلى اعتراف الآخر به، أمـا المجاهد أو المقاوم الحقيقي فلا ينتظر اعترافاً لا من خصمه و لا من حليفه أو صديقه). أما ما يمكن رؤيته بوضوح و قد تم التغافل عنه قصدا هو:

١- هناك اعتراف صريح وواضح تطور من "تفاهم تموز" الذي أضفى اعترافاً من قبل حزب ا بوجود شيء اسمه "مدنيين إسرائيليين" ليـصبح أكثـر شمولاً عبر الاعتراف بشيء اسمه "الحدود الإسرائيلية". إذ يـشير البنـد الأول إلى مصطلح "عدم التعرض لداخل إسرائيل" ومن المعروف أن داخل إسرائيل يبدأ من "خارج لبنان" وعدا عن ذلك فان مصطلح "داخل إسرائيل" يشمل العسكريين أيضاً إلى جانب المدنيين. بهذا المعنى، فقد كان "تفـاهم تموز" أقل وطأة في هذا المجال، إذ حرم المدنيين الإسرائيليين فقـط فيمـا يتعلق بإسرائيل، أما الآن فانه يشير إلى داخل إسرائيل مما يعنـي شـمول المدنيين وغير المدنيين في قلب إسرائيل.

٢- على الرغم من أن المعني بهذا الاتفاق هو "حزب ا " عبر لبنان وسوريا، إلا أن الاتفاق أورد كلمة "المجموعات المسلحة" وهـذا يعنـي حـزب ا وغير حزب ا أيضاً ممن يفكر في قصف إسرائيل!!

من الناحية العمومية الكلية، فان الهدف من هذا الاتفاق باختصار حماية الحدود الإسرائيلية، وهو في ذلك لا يختلف عن أي اتفاق سلام عقدته مصر أو الأردن مع إسرائيل "من الناحية الأمنية" سوى أنه على شكل مصغّر وأقل تفصيلاً، أما فيما يتعلق بحق الدفاع عن النفس، فهو كغيره من الدول المسالمة، إذ لا نتصور مثلاً إن تقوم إسرائيل بالدخول إلى الأراضي المصرية أو الأردنية أو بقصف القاهرة فيما تتفرج القاهرة أو عمان على ذلك!! فأين الانتصار وكيف هو؟!

من الواضح لكل مراقب موضوعي أن الوضع تدهور لصالح "إسرائيل"، وإلا ففي أي خانة نصرف هذه الاتفاقات؟! نعم إذا كان المقياس هو المطالبة بعقد اتفاقية سلام مع إسرائيل وحماية الحدود فقد يعد هذا انتصاراً دبلوماسياً، أما إذا كان المقياس شعارات الحزب نفسها، فأين الانتصار؟!

بطبيعة الحال، من الجانب الإسرائيلي فهو يحب إن تتم هكذا أمور بالمجان وبسحق الناس، ولكنه أتمها هذه المرة باتّفاق، ومن هنا فلا يمكن القول إنه من هذه الزاوية انتصار لإسرائيل إذا كان المعيار كما سبق و ذكرنا هو القوة العسكرية، أما إذا قسنا النتيجة على هدف إسرائيل وهو تأمين حدودها وداخلها ومدنييها، فإنها قد حققت ذلك بامتياز، و بعد ذلك لا يهم الإسرائيليين ما يقوله حزب ا   من أنه انتصر أو إذا استغل ذلك في الترويج لنفسه أو للداعم الإيراني أو للمفاوض السوري، المهم بالنسبة للإسرائيليين النتيجة و ليس الشعار.

استمرت عمليات الحزب فيما بعد في العام ١٩٩٧ و١٩٩٨ و١٩٩٩ على الشريط الداخلي المحتل من لبنان، حيث نفّذ حزب ا   في هذه السنة الأخيرة ١٥٣٠ عملية أدت إلى مقتل ١٦ جندياً إسرائيلياً و جرح ١٧. و قد حصلت بعض الخروقات الطفيفة لتفاهم نيسان ١٩٩٦ خلال هذه السنوات من قبل

الطرفين ولكن بشكل غير مؤثّر على الإطلاق وغير ذي أهمية إلى أن جاء العام ٢٠٠٠[٥٨].

عندما أصبحت الأجواء السياسية بالإضافة إلى الأجواء الأمنية و العملية على الأرض - ضمن الترتيبات التي أعدت سلفاً كما رأينا في الاتفاقيات السابقة- سانحة للانسحاب الإسرائيلي الذي كان يعد نفسه أنه في "مأزق" كما سبق وشرحنا، قرر الانسحاب من جانب أحادي على أن يتم ذلك وفق القرار ٤٢٥. طبعا ليس حبا بتطبيق القرارات الدولية و لكن لإحراج سوريا كما سنرى لاحقاً.

قبل ذلك سرب الجانب الإسرائيلي معلومات عن قرب انسحابه من لبنان ليرى رد فعل الحزب على هذه العملية ورد سوريا. أعلن مورد خاي – الوزير الإسرائيلي السابق - لأول مرة أن إسرائيل كانت راغبة بتنفيذ قرار مجلس الأمن لعام ١٩٧٨ رقم ٤٢٥ الذي يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من المناطق اللبنانية مشترطاً أن يقوم الانسحاب على أساس[٥٩]:

١- وقف الإرهاب وإنهاء حلقة العنف.
٢- توقف الهجمات التي تتم ضد إسرائيل من الأراضي اللبنانية.
٣- إقامة علاقات ودية بين الجانبين على طرفي الحدود وإنشاء التعاون بين قوات الدفاع الإسرائيلية ولبنان في الحرب على الإرهاب.

يقول "دانييل سوبلمان": لقد كانت دمشق تخشى أن يؤدي الدعم الأمريكي لمبادرة "موردخاي" إلى منح حكومة "بنيامين نتنياهو" "الفرصة للتهرب من تسوية سلام شاملة في المنطقة" وأن يحرم سورية من النفوذ الذي يمنحها إياه

---

(٥٨) راجع: مقال "أبرز محطات المقاومة...."، حسن السبع، مرجع سابق.

(٥٩) راجع: دانييل سوبلمان، كتاب "قواعد جديدة للعبة...، مرجع سابق.

وجود حزب ا ، **ولذلك سعى حزب ا وسورية جاهدين لسد الطريق أمام انسحاب إسرائيلي أحادي الجانب**[٦٠].

هذا يعني إن الانسحاب الإسرائيلي أصبح ضد مصلحة سوريا - كما سبق وشرحنا - إذ إن الانسحاب الإسرائيلي من لبنان بهذا الشكل دون التفاوض مع سوريا على شيء مقابل ذلك يعد نكسة لسوريا.

عملت سوريا على خلق أجواء توحي بأن الانسحاب الإسرائيلي سيخلق "فوضى" – وهو الوضع الذي تخشاه إسرائيل أكثر من حزب ا - على حدودها مما يشكل خطراً عليها وبالتالي تضطر إلى البقاء في الداخل اللبناني وتعود اللعبة من جديد، إسرائيل في المأزق تتلقى الضربات من حزب ا وسوريا تنتظر طلباً منها للتفاوض.

فمع اقتراب موعد الانسحاب الإسرائيلي، وصف أحمد جبريل – قائد الجبهة الديمقراطية - من مقره في دمشق، ما يمكن توقعه غداة هذه الخطوة الأحادية من طرف إسرائيل دون التوصل إلى حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين "لدينا ٣٠٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني في لبنان مستعدون للسير على الأقدام إلى الجنوب .. ستخترق النساء والأطفال السياج الشائك كالعاصفة .. ولدينا خيارات أخرى .. المتفجرات والبنادق .. وغير ذلك كثير".

وصرح "رمضان شلح" الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين قائلاً: "إذا تغيرت الظروف وحدثت تطورات كالانسحاب الإسرائيلي من طرف واحد فسوف يصبح الوضع جائزاً لكل الاحتمالات"[٦١].

---

(٦٠) نفس المرجع السابق.

(٦١) نفس المرجع السابق.

اختلفت وجهات النظر في الداخل الإسرائيلي بين الخبراء والمختصين بالشأن الأمني المتعلق بالانسحاب الأحادي، و قد تمخّض عن وجهات النظر المختلفة هذه اتّجاهان:

- الأول يرى انّه لا يمكن الوثوق بحزب ا لأنه تنظيم غير مسؤول وإن الانسحاب الإسرائيلي من جانب واحد سيؤدي إلى تجديد متعاظم لعمليات حزب ا ضد إسرائيل، وستضطر إسرائيل للرد وسوف يتسع نطاق المجابهة على الحدود والذي قد يشمل سورية. ومن هؤلاء المنظرين لهذا الاتجاه العميد "آموس جيلاد" رئيس قسم البحوث في فرع الاستخبارات، و"شاؤل موفاز" رئيس أركان قوات الدفاع الإسرائيلية[٦٢].
- أما الثاني ومنهم أيهودا باراك فيرى أن من خلال الخبرة العملية الواقعية أن الفرصة متاحة للانسحاب والخروج من المأزق وتوفير الأمن للحدود الإسرائيلية بهذه الطريقة حيث تنقلب الآية ويصبح الضغط الداخلي اللبناني باتجاه حزب ا وسوريا.

رأى الإسرائيليون أن الوضع أصبح جاهزاً للانسحاب بعد توفّر العناصر التي كانوا ينتظرونها منذ العام ١٩٨٥وتم اعتماد التوجه الثاني. ولنستذكر هذه الشروط نورد المقتطفات التالية:

١- صرح "اسحق شامير" نائب رئيس الوزراء في حكومة الائتلاف القومي في العام ١٩٨٥ وإثر إقرار انسحاب الجيش الإسرائيلي بعد التصويت الحكومي: "أن قوات الدفاع الإسرائيلية **لن تنسحب من لبنان بدون ضمانات أمنية حتى لو استغرقت الترتيبات لذلك سنوات**"[٦٣].

---

(٦٢) **Hezbollah plays by the rules ,Reuven Pedatzur, H a a r e t z,16/08/2004, at this link**: www.tau.ac.il/jcss/haaretz160804_en.html

(٦٣) راجع: دانييل سوليمان، كتاب "قواعد جديدة للعبة: اسرائيل وحزب ا بعد الانسحاب من لبنان"، مرجع سابق.

٢- صرح يهودا باراك عام ١٩٨٥ **"إنه على ثقة تامة من أن "أمل" ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجد في الجنوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية"**(٦٤).

وإذا ما طابقنا هذه التصريحات على واقع العام ٢٠٠٠، نرى أن هناك ترتيبات أمنية غير مباشرة قد حصلت فعلا ومنها "اتّفاق نيسان ١٩٩٦"، وأخرى غير معلنة سنراها من خلال ممارسة حزب ا العملية فترة الانسحاب الإسرائيلي. أضف إلى ذلك أن الحزب قد حلّ محل الحركة وأصبح فعلياً بمثابة الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، ومنع المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجد في الجنوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية كما سنرى لاحقا.

طبعاً سيكون من الأفضل لإسرائيل لو كان هناك جهة قوية موالية لها على الحدود غير حزب ا – الذي من الممكن أن يفاجئها أو يباغتها - لكن ضمن الخيارات التي كانت متاحة كان هناك سيناريو "الفوضى" و"سيناريو حزب ا "، وسيناريو الفوضى كما ذكرنا هو الأخطر على إسرائيل على الإطلاق فكان أن تم اختيار سيناريو حزب ا ، وانسحبت إسرائيل من جنوب لبنان يوم ٢٤ أيار عام ٢٠٠٠.

يقول الأمين العام الأول للحزب صبحي الطفيلي كلاماً مهما جداً ودقيقاً جداً يتوافق مع تحليلنا المذكور: " **لو كنت رضيت بما عرض على غيري لكانت إسرائيل انسحبت قبل العام ٢٠٠٠ ... عرض علي هذا الذي فرحنا به وطربنا وغنينا له وهو التحرير الذي عرض علي ورفضته ... حصل تفاهم تموز ١٩٩٣ والذي كان مقدمة لتفاهم نيسان ١٩٩٦ ومن حينها يدرك المتتبع أن**

---

(٦٤) راجع: كتاب "أمل و المخيمات الفلسطينية"، مرجع سابق..

الإسرائيلي أصبح جاهزاً للانسحاب، لأنه إذا وصل إلى الحدود لا يدخل عليه مسلح، والسوري كان يتهرب من تنفيذ الاتفاق وحاول الإسرائيليون بكل الوسائط وعبر أطراف كثيرين أن ينسحبوا ويسلموا الأرض اللبنانية للسلطة اللبنانية لكن السوري كان يرى مصلحته في عدم إراحة الإسرائيلي بل في تكبيده مزيداً من الخسائر وحتى يوم انسحبت إسرائيل من جزأين منع السوري الجيش من دخولها لكن مع هذا عاد وانسحب الإسرائيلي بعد أن اخذ ضمانات إيرانية"[٦٥].

- **الفترة الممتدة من العام ٢٠٠٠ إلى العام ٢٠٠٦:**

صور حزب ا للعالم انّه قد هزم الجيش الصهيوني واجبره على التراجع وأنّه حقق نصراً ضخما عليه (لا يعني ذلك أن الجيش الصهيوني قوي أصلاً ولنا عبرة من مواجهة الطفل للدبابة بالحجر ومن مخيم جنين و غيرها من البطولات والملاحم التي يسطرها الشعب الفلسطيني).

إننا لا ننكر دور حزب ا في إلحاق الخسائر ببعض الجنود الإسرائيليين إلا أنّه لا بد لنا من القول إن الانسحاب لم يتم بسبب هذه الخسائر، كما رأينا من خلال سياق الأحداث الشمولي، وإلا لو كان الأمر كذلك لانسحبت إسرائيل من قطاع غزة (آنذاك) منذ زمن بعيد، ذلك أن خسائرها البشرية والاقتصادية في قطاع غزة تفوق ما أصاب الإسرائيليين في جنوب لبنان أضعافاً مضاعفة.

لا نريد أن نبخس القوم حقّهم و لكن نتساءل، لو كانت هجمات حزب ا وحدها هي السبب، إذاً لماذا لم تنسحب إسرائيل من مزارع شبعا أيضاً على

---

(٦٥) مقابلة مع الأمين العام الأول لحزب ا ، الشيخ صبحي الطفيلي، الأربعاء، ١٩ نيسان ٢٠٠٦.

الرغم من أن حزب ا يصل إلى هذه المنطقة، ولماذا حصلت هـذه الترتيبـات الأمنية السابقة؟!

الحقيقة أن ضجة الانتصار الذي قامت بالترويج له وسائل الإعلام كافّة كان الهدف منها التغطية على الحدث الأهم وهـو حمايـة المـستوطنات والحـدود الإسرائيلية من الجانب اللبناني.

الإسرائيليون من جهتهم لم يكترثوا أن يقوم الحزب بالترويج لمـا يـسميه انتصاراً، المهم عندهم أن تكون حدودهم آمنة ومستوطناتهم التي لا تبعد سـوى بضعة أمتار عن الحدود اللبنانية، وبعد ذلك فليقم الحزب بما يشاء من دعاية.

يسأل المذيع في برنامج "نقطة نظام"، الأمين العام الأول لحزب ا صبحي الطفيلي: "انقل عن السيد حسن نصرا قوله إنّك أهنت المقاومة عندما وصـفت الانسحاب الإسرائيلي من لبنان "بأنه تم وفق صفقة بين حـزب ا وإسـرائيل".

فأجابه صبحي الطفيلي: "**...إذا رجعت أو رجع أي إنسان إلـى التفـاهم - يقصد نيسان- يجد نصاً واضحاً بحماية الحدود الإسرائيلية ... والموجود اليوم على الحدود - يقصد حزب ا - يحمل سلاحاً ليحمي العدو الإسرائيلي، ومن لا يـصدق ليذهب يحاول أن يقوم بعملية ضد العدو الإسرائيلي لنرى من يمنعه من يدخله إلـى السجن من يعذبه من ينتقم منه؟".**

يحاول المذيع أن ينقل فيما بعد حجة حزب ا على أن الهدوء على الحدود سببه معطيات لا تسمح للحزب حالياً بتنفيذ عمليات، فيجيب الطفيلي: "**وفي مصر معطيات لا تحبذ وفي الأردن معطيات لا تحبذ، وفي العالم الإسلامي كله معطيـات لا تحبذ كما تعلم. بل المعطيات اليوم في عالمنا أن نكون خدم للصهاينة والأمريكان، هل علينا أن نخضع لهذه المعطيات أم نتجاوزها؟**"[٦٦].

---

(٦٦) برنامج نقطة نظام مع الشيخ صبحي الطفيلي، مقطع مرئي مسجل على الرابط التالي: www.fnoor.com/media/fn001.ram.

لقد كان الانسحاب الإسرائيلي خطوة كبيرة ولكنّه في نفس الوقـت خلقـت واقعاً جديداً على أساس أن الإسرائيليين كانوا يحاولون من خلال هذا الانسحاب إعادة رسم معالم اللعبة الجديدة وخطوطها وقد نجحوا في ذلك إلى حـد بعيـد، كانت اللعبة الجديدة تقتضي تحقيق العديد من الأهداف منها(٦٧):

أولا: قيام إسرائيل بسحب ذريعة احتلال الجنوب من تحت بساط حزب ا الذي أزعجها كثيراً كورقة سياسية، فالانسحاب يعني انّه لم يعد هناك من مبرر لوجود الحزب طالما انّه يقول إن دوره ينحصر في تحرير أرضه. فـإذا كـان صادقاً فانه لن يقوم بأي عمليات داخل إسرائيل وإذا كان كاذبا (أي يسعى إلـى جهاد إسرائيل) فإننا سنكتشف ذلك، ولكنها ستكون مخاطرة.

ثانيـاً: إدخال العمق السوري في المعادلة الجديدة من خلال القول بـأن أي هجوم من حزب ا من الآن و صاعداً سيقابله رد إسـرائيلي علـى المواقـع السورية في لبنان أو في العمق السوري إن اقتضى الأمر وهذا ما حصل فعـلاً فيما بعد.

ثالثاً: التمهيد للخروج السوري من لبنان على أساس أن كلاً من الطـرفين كان يتمسك بخروج الآخر كمقدمة لخروجه هو، كما أن الانسحاب الإسـرائيلي يتيح للقوى الكبرى وخاصة أمريكا مصداقية أكبر عند ضغطها علـى سـوريا للخروج من لبنان، وهذا ما حصل بالفعل في عام ٢٠٠٥.

رابعاً: ضمان حماية الحدود الإسرائيلية والمستوطنات، وإبقاء مزارع شبعا تحت سيطرتهم لجعلها متنفسا لأي عملية ابتزاز قد تقوم بها سوريا عبر حـزب ا ، وبالتالي إن كان هناك من عمليات ستتم فلتتم بمزارع شبعا لا في الـداخل الإسرائيلي.

---

(٦٧) راجع: مقال "رؤية في حاضر و مستقبل حزب ا اللبناني"، علي حسين باكير، مجلـة البيان، العدد ٢٢٣، يناير ٢٠٠٦، ص٧٦.

لقد التزم حزب ا فيما بعد بشكل ضمني بما يعرف باسم "قواعـد اللعبـة" وهي[٦٨]:

١- اعترافه بالخط الأزرق الذي تم تحديده بعد الانسحاب الإسرائيلي الذي تـم وفق القرار الدولي ٤٢٥ والذي يمنع حزب ا من القيام بأي عمليات ضد إسرائيل على طول الخط (هذا ما يؤكد أن الإسرائيلي أراد الانسحاب وفق خطّته و ليس لان حزب ا دفعه إلى الانسحاب). و في هذا الإطار يقول الإسرائيلي سوبلمان والخبير في مركز جافي للدراسات الإستراتيجية فـي جامعة تل أبيب: "على الرغم من أن حزب ا رفض الاعتراف بـشرعية الخط الأزرق، إلا أنه التزم عملياً على أرض الواقع ... بحصر عملياتـه فقط في مزارع شبعا...."*.

٢- مزارع شبعا مسرح شرعي للقيام بالعمليات. (للتنفيس كما سبق و شرحنا، والدليل الذي يؤكد وجهة نظرنا أن وزير خارجية إيران منوشـهر متقـي رفض طرحاً يقضي بانسحاب الإسرائيلي من مزارع شبعا!! فـي إطـار النقاش الذي كانت تديره حكومة السنيورة مع المجتمع الدولي للطلب منـه دفع إسرائيل للانسحاب على أساس أن مزارع شبعا لبنانية وتندرج تحـت القرار ٤٢٥)**.

٣- التزام الجانب الدفاعي وفق منهج العين بالعين أو الفعل ورد الفعل.

منذ العام ١٩٩٧ وحتى العام ٢٠٠٠، لم تتعرض الحدود الإسـرائيلية لأي هجوم باستثناء بعض الخروقات التي لا تذكر، ومنذ العام ٢٠٠٠ وحتى تمـوز ٢٠٠٦ كانت الحدود مع إسرائيل كما هي حدود الأردن مع إسرائيل أو حـدود

(٦٨) see: Daniel Sobelman, "New Rules of the Game: Israel and Hizbollah after the Withdrawal from Lebanon", Jaffee Center for Strategic Studies, Memorandum No. 69, January 2004, p: 67.

• .Ibid.

** انظر جريدة الزمان الدولية - العدد ٥٦٢٥ – التاريخ ٢٠٠٦/١٢/٩.

مصر مع إسرائيل، بل إن حدود مصر مع إسرائيل على سبيل المثـال كانـت الشريان الحيوي في إمداد الانتفاضة والفلسطينيين بالسلاح والمال، الأمر الـذي أدى إلى تذمر الإسرائيليين من مصر والتهديد في مرات عديدة بعمليات عسكرية ضدها على الحدود، في حين إن حزب ا منع أي عملية ضد إسرائيل من هـذه الحدود و أحبطها كلها وامسك بمنفّذيها وزجهم في السجون!!

كان هناك من يروج من الإسرائيليين في الأوساط الأمنية الإستخباراتية إلى أنّه و فور الانسحاب الإسرائيلي سيستمر حزب ا في نـشاطه دون توقـف.. فالاستخبارات ترى بأن حزب ا **"سيطلق النار علينا وعلى قراننا، علـى "ميتـولا وكيبوتيزم" ويسارعون للوصول إلى القدس"**[٦٩].

لكن هؤلاء كانوا يزايدون، يقول سوبلمان في دراسته عن حزب ا : **"وجدنا تناقضا واضحا بين أيديولوجية حزب ا المعلنة التي تنادي بتدمير إسرائيل، وبـين السياسيات التي يقوم بتطبيقها فعليا على أرض الواقع.."**[٧٠].

تحول حزب ا في هذه المرحلة إلى مدافع عن الحدود الإسرائيلية في حين أنّه كان يروج" إن إسرائيل لا تجرؤ على مهاجمتنا لأننا نردعها"!!.

يقول "سوبلمان" فيما يتعلق بدور الحزب علـى الحـدود: "يبـدو أن هـذه التكتيكات المفزعة لم تكن تستند إلى الواقع وأن المنظمات الفلسطينية نفسها ربما تكون قد بالغت في تخمين حريتها ونشاطها في لبنان بعد الانسحاب الإسـرائيلي منه ... فقد تم بعد الانسحاب مباشرة منع منظمة جبريل من تحريـك الـدبابات باتجاه إسرائيل، وكذلك أيضاً تمت معاقبتها من قبل عدة عناصر في لبنان بمـا فيهم حزب ا "!![٧١].

---

(٦٩) كتاب "قواعد اللعبة..."، مرجع سابق.

(٧٠) Hezbollah plays by the rules, Op. Cit.

(٧١) كتاب قواعد اللعبة....، مرجع سابق..

يقول العميد سلطان أبو العينين – أمين سر حركة فتح في لبنان - : "حزب ا   قال: سنكون إلى جانبكم عند المحن، ولكننا منذ أعوام ثلاثة نعيش الشدائد ولم نعد نقبل شعارات مزيفة من أحد... إن حزب ا   اللبناني أحبط فـي الأسـبوع الأخير أربع عمليات كانت المقاومة الفلسطينية قد خططت لتنفيذها ضد إسرائيل من الجنوب اللبناني انطلاقاً إلى الحدود الشمالية مع الدولة العبرية ... وقامـت عناصر حزب ا   باعتقال المقاومين الفلسطينيين وتقديمهم للمحاكمة"[٧٢].

كما تلاحظون لم يمنع حزب ا   شن هجمات على إسرائيل فقط، بـل قـدم هؤلاء إلى المحاكمة!!

يضيف سلطان أبو العينين: "إن الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبنـاني في أيار تم ضمن ترتيبات أمنية واتفاق أمني بأن لا تطلق طلقـة واحـدة علـى شمال فلسطين من جنوب لبنان، وهذا الاتفاق يطبق منذ الانسحاب الإسـرائيلي، فلم يتمكن أي مقاوم من اختراق الحدود الشمالية وجرت أكثر من محاولـة مـن جميع الفصائل الفلسطينية وجميعها ضـبطت مـن حـزب ا   وقـدمت إلـى المحكمة"!![٧٣].

يجاوب صبحي الطفيلي في مقابلة له على قناة الجزيرة عن سؤال "وكأنـك تتهم حزب ا   وكأنه يحمي حدود إسرائيل؟": "نعم، مش أتهم وهل هنـاك مـن يشك بذلك، الإسرائيليون من بعد ما انتزعوا ما عرف بتفاهم نيسان ١٩٩٦م اللي اعترف حزب ا   من جهته أنه بمنأى بالامتناع عن ضرب الأهداف الفلـسطينية اليهودية في فلسطين ... ليس له حق أن يقاتل داخل فلسطين، يعنـي موضـوع تحرير فلسطين وما شابه ذلك موضوع شطب من الخريطة وهنا كانت المصيبة

---

(٧٢) انظر جريدة القدس العربي ٥-٤-٢٠٠٤، حزب ا   يحبط عمليات المقاومة الفلسطينية من الجنوب. انظر ايضا مقابلة اجراها الياس كرم مع العميد سلطان ابو العينين علـى الرابط التالي: www.almuhands.org/forum/showthread.php?t=73413

(٧٣) نفس المرجع السابق.

يعني هنا كانت الكارثة"[٧٤]، "**بدأت نهاية هذه المقاومة مذ دخلت قيادتها في صفقات كتفاهم يوليو (تموز) ١٩٩٤ وتفاهم ابريل (نيسان) ١٩٩٦الذي أسبغ حماية علـى المستوطنات الإسرائيلية وذلك بموافقـة وزيـر خارجيـة إيـران.... إن العمليـات الفولكلورية التي تحصل بين حين وآخر لا جدوى منها لأن الإسرائيلي مرتاح**، وهل هناك فرق بين الإسرائيلي في مزارع شبعا والإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة؟ هذا اعتراف بالاحتلال، أنا أرى أن الخيام (بلدة حدودية لبنانيـة) هـي مثل عكا وحيفا. وما يؤلمني أن المقاومة التي عاهدني شبابها على الموت فـي سبيل تحرير الأراضي العربية المحتلة، تقف الآن حارس حـدود للمـستوطنات الإسرائيلية، ومن يحاول القيام بأي عمل ضد الإسرائيليين يلقون القـبض عليـه ويسام أنواع التعذيب في السجون"[٧٥].

لقد بدا واضحاً أن الجبهة اللبنانية أكثر الجبهات أمناً للعدو الإسرائيلي بفـضل حزب ا ، بل إن الأمر وصل إلى حد مطالبة بعض الخبراء العسكريين الإسـرائيليين بضرورة خلق نصر ا على الحدود مع غزة ليضبطها من التعدى الفلسطيني الـذي أصبح يزعجهم كثيرا!!

يعقد المحلل العسكري والخبير في الشؤون الإسرائيلية "ألوف بين" في مقال له في صحيفة "هآريتس" الصهيونية في ٦ تموز ٢٠٠٦ قبل عدة أيام من حرب تموز ٢٠٠٦ بعنوان: "**نحن بحاجة إلى نصرا** "، مقارنة بـين خطـر صـاروخ "سكود" سوري محمل برأس كيماوي يمكنه أن يصيب تل أبيب و يقتـل الآلاف، وبين صاروخ قسام فلسطيني محمل بالمتفجرات البدائيـة ويـصيب مـستوطنة سيديروت أو اشكلون، ليصل إلى استنتاج مفاده أن صاروخ قـسام الفلـسطيني أخطر من صاروخ سكود على إسرائيل!! (هذه نظرية الفوضى التـي ترعـب إسرائيل والتي تكلمنا عنها في سياق البحث). يفسر ذلك بقوله "الخطر لا يـأتي

---

(٧٤) راجع برنامج زيارة خاصة على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٣-٧-٢٠٠٤..

(٧٥) راجع صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٩٠٦٧، بتاريخ ٢٥-٩-٢٠٠٣.

من تكنولوجيا أنظمة الصواريخ، إنما من الأصبع الموضوع علـى الزنـاد"... ويضيف: "الانسحاب الإسرائيلي من لبنان العام ٢٠٠٠ لم يتم بنـاء علـى إرادة وجرأة رئيس الوزراء باراك فقط، بل الشكر أيضاً لقائد حزب ا حسن نصرا الذي أوجد سياسة قانون واحد و سلاح واحد ... هو – أي حـسن نـصرا - يمتلك السلطة والمسؤولية، وعليه فان تصرفاته عقلانية ويمكن التنبؤ بها منطقياً ضمن ما هو متوافر، هذا أفضل وضع ممكن، **فحزب ا يؤدي دوراً في الحفـاظ على الهدوء في الجليل بشكل أفضل بكثير مما فعل جيش لبنان الجنوبي الذي كـان موالياً لإسرائيل"!!** ويقول: " **الأحداث في غزة - يقصد ضد إسرائيل - تظهر لنا مدى الحاجة إلى إصبع مسؤول على الزناد على الطرف الآخر من الحدود للحفـاظ علـى الهدوء ... إنه لأكثر من مهم أن يتم تطبيق سياسة "قانون واحد وسلاح واحد" حتى لو تم تطبيقه عبر نصر ا فلسطيني"**[(٧٦)].

---

(٧٦) We need a Nasrallah, Aluf Benn, Haaretz, 06/07/2006,at this link: www.haaretz.com/hasen/pages/ShArt.jhtml?itemNo=735153

القسم الثالث

موقف "حزب الله" من مشاريع المقاومة الإسلامية

يعتبر هذا الباب من أبرز الأبواب التي تظهر تناقضا واضحا في سلوكيات وعمل حزب ا وشعاراته.

من المعروف أن القضية الفلسطينية حاضرة دوما في أدبيـات حـزب ا اللبناني وخطابه الإعلامي والتعبوي وفي كل صغيرة وكبيرة وشـاردة وواردة، وبشكل دائم ومتواصل، لكن ما خبرناه من أحداث الماضي إن هذه القضية قـد التصق بها من يريد الحق ومن يريد الباطل، فقد سبق وأن شهدنا تواجد القضية الفلسطينية في خطابات وأدبيات العديد من الأحزاب والقيادات، وكـان البيـان رقـم واحد دائماً ينص على تحرير القدس ومجابهة العدو الصهيوني، ومن ثـم تبين - بعد فوات الأوان - أن الهدف من وراء الالتصاق بالقضية الفلسطينية إما كسب استعطاف الشارع العربي والإسلامي لتلميع الصورة وأما التغطية علـى أفعال وأخطاء أو سياسيات كبرى إذا كانت القضية الفلسطينية حاضرة مقابلهـا، نظرا لوزنها ولأهميتها الوجدانية والعملية في قلب وضمير كل عربي و مسلم.

لكن التمييز فيما إذا كان الالتصاق بالقضية الفلسطينية هو التصاق ذو طابع سياسي ومصلحي أم التصاق ذو طابع إسلامي أو عربي مبدئي تمليـه العقيـدة والأخوة الإنسانية والدينية، يحتاج إلى مقاربة شاملة حتى يظهر لنا الحكم الفصل فيه.

نحاول في هذا الباب رصد مواقف وتوجهـات حـزب ا مـن مـشاريع المقاومة الأخرى في العالم الإسلامي وخاصة في العراق، أفغانستان، الشيـشان. وقد اخترنا هذه الجبهات على سبيل المثال لا الحصر وذلك على اعتبـار أنهـا الأكثر اشتعالاً حالياً في العالم الإسلامي وعلى اعتبـار أنـه لا خـلاف علـى مشروعية وعدالة القضية في هذه البلدان لدى الجماعات المقاومة والإسلامية.

فطالما أن توجهات "حزب ا " كما يتم طرحها في العلن هي توجهات إسلامية خالصة وتوجهات مقاومة، فلا بد إذاً من أن يظهر شيء من ذلك من خلال القول أو العمل على صعيد هذه الجبهات الإسلامية، بالطبع هو ليس مطالباً بذلك، ولكن المفترض أن يظهر ذلك في مكان ما لديه حتى لو في بعض المراحل القصيرة والمؤقتة. مع ضرورة التأكيد على أن هذه المقاومة (الشيشان، أفغانستان، العراق) هي مقاومة تاريخية نابعة من جذور وأصول إسلامية عريقة ولها تاريخها الجهادي والنضالي في أصقاع العالم الإسلامي ولا تنتظر من حزب ا دعماً، حتى بالكلام.

و على الرغم من أن هذه المقاومة تعاني من محاولات عزل سياسي وعسكري بسبب الحرب العالمية الشرسة عليها تحت ذريعة ما يسمى الإرهاب، إلا أنها نجحت في الصمود والتأقلم و المواجهة وأوقعت خسائر عظيمة في قوات الاحتلال، وهي تحارب أكبر قوتين في الكون الحاف الأطلسي والقوات المتعددة الجنسيات في أفغانستان، و الولايات المتّحدة وبريطانيا في العراق إضافة إلى عدد كبير من الدول. ما يعنينا هنا هو مقارنة موقف حزب ا من هذه المجريات لنستخلص توجهه و مآربه و الهدف من ذلك.

أولا: الجبهة الشيشانية:

من المعروف أن الجبهة الشيشانية من أشد الجبهات اشتعالاً إذا ما تم قياس ذلك نسبة إلى المدى الزمني للمعركة (الحديثة) التي تجري فيها منذ تشرين أول من العام ١٩٩١ وهو التاريخ الذي أعلن فيه الزعيم الشيشاني جوهر دوداييف قيام جمهورية الشيشان المستقلة عن روسيا ومن ثم في ١١ كانون أول ١٩٩٤ تاريخ غزو القوات الروسية لجمهورية الشيشان المستقلة(٧٧).

---

(٧٧) راجع: شامل باسييف .. مجاهد حتى النهاية، علي حسين باكير، صوت القوقاز، ١٦-٧-٢٠٠٦ على الرابط التالي: www.alqoqaz.net/?P=12&se=120:

وعلى الرغم من مرور أكثر من ١٥ سنة على الحرب التي يخوضها المجاهدون الشيشان في سبيل استقلالهم ضد الغزو الروسي، إلا أن خطابات وأدبيات حزب ا اللبناني تخلو كلّياً وبشكل كامل من أي إشارات أو دلالات أو إسناد شرعي باسم الدين الإسلامي أو حتى معنوي باسم المظلومين، المقهورين أو المستضعفين في الأرض. (و هو الشعار الدارج جدا عند الجمهورية الإسلامية الإيرانية و حزب ا اللبناني).

ويستطيع المراقب أن يحاول جاهداً لكي يجد شيئا عن "القضية الشيشانية" في الخطاب العام أو الخاص المعاصر أو الماضي لدى حزب ا فلا يجد. فهل يعقل أن يكون هناك حزب إسلامي له سمعة وباع في المقاومة ومقارعة الظالمين ولا يكون عنده أي إشارة عن إخوانه في المناطق والبلدان الأخرى (كالبوسنة أو كشمير أو الصومال..الخ) و لو من باب الشكليات؟!!

قد يفسر البعض هذا التجاهل التام للمجاهدين الشيشانيين والقضية الشيشانية من قبل حزب ا على أن جهد حزب ا العملي والإعلامي يتركّز على إسرائيل، وإن روسيا لا تدخل ضمن قائمة الاستهداف العملية أو الإعلامية للحزب. لهذا فقد اخترنا الجبهتين الأفغانية والعراقية حيث التواجد الكثيف للولايات المتّحدة وللمصالح الصهيونية، لنرى موقف حزب ا من المقاومة التي تجري في هذين البلدين ونقيم موقف الحزب على هذا الأساس.

ثانيا: الجبهة الأفغانية والعراقية:

في ٧ تشرين أول/أكتوبر من العام ٢٠٠١ بدأ الغزو الأمريكي لأفغانستان كأول حرب مدمرة في القرن الواحد والعشرين وفي ٢٠ آذار/٢٠٠٣ بدأت عملية غزو العراق والتي قام بها تحالف مؤلّف من ٣٠٠,٨٨٤ ألف جندي من

٤٩ دولة تشكّل الولايات المتّحدة وبريطانيا عمادها الرئيسي والأساسي (٩٨%)[٧٨].

واحتّل العراق وقد كان خطاب حزب ا خلال هذه المرحلة يركّز على وجود محتل أمريكي مع أن التركيز عليه كان هامشياً في تلك الفترة وذلك كي لا يثير الحزب شبهة "الإرهاب" عليه التي توصم بها الحركات الإسلامية بعد ١١ أيلول. ولكن مع مرور الوقت أخذت تتبلور مشاريع المقاومة في أفغانستان والعراق أكثر فأكثر، كان يفترض تأييد حزب ا في الفعل أو القول لمثل هذه الحركات المقاومة التي تجمعه بها الدين الإسلامي أو عنصر المقاومة نفسه أو العدو الواحد وهو أمريكا وإسرائيل (طالما أن الحزب يدعي دوماً أن أمريكا الشيطان الأكبر هو العدو الأساسي) سواء بصورة مباشرة أو حتى بصورة غير مباشرة فيها "مواربة" أو حديثاً "مجهولاً أو بصفة الغائب" كي لا يورط نفسه إذا اعتبر هذه المسألة توريطاً وليس شرفاً، إلا أن ذلك لم يحصل.

لم يكن هناك أي نوع أو صورة من صور الدعم حتى اللفظي أو الخطابي أو الشكلي، و لم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه ليصبح تهجماً وتطاولا بل وتشويها لصورة المقاومة في هذه البلدان ودعماً للمتعاونين مع الاحتلال.

وإن كان السكوت في بادئ الأمر فيما يتعلق بالهجوم الأمريكي على العراق يمكن تفهمه أو تأويله بحجة إن وجود صدام حسين في الحكم من الممكن أن يحرج الحزب فيما إذا أراد الدفاع عن العراق خوفاً من أن يتم تأويل كلامه على أنه دفاع عن النظام العراقي، إلا أن سقوط صدام مع نظامه أسقط أي حجة موجودة عند الحزب، و كشف حجم التواجد والتعاون الأمريكي - الصهيوني مع

---

(٧٨) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة

المرجعيات الشيعية العليا التي لا يفتأ حزب ا يدافع عنها كلما سنحت له الفرصة*.

وقد قام الحزب في هذه الأثناء باستخدام مخزون الاحترام لتجربته الموجودة في العالم العربي، لتبرير ما تمارسه المرجعيات والفئات الشيعية في العراق، حيث اعتبر مواقف الجميع في العراق "اجتهادات"...، وحاول تسويق لجوء بعض القوى الدينية الشيعية إلى غير خيار المقاومة على أنه اجتهاد، وان هذا لا ينقص شيئا من صدقها في رفض الاحتلال الأميركي!![٧٩].

و في هذه المرحلة، بدأ حزب ا أيضاً باستغلال النقمة العالمية الأمريكية على ما يسمى "الإرهاب" خاصة في العراق، ليقوم هو بتزكية نفسه أمام الإدارة الأمريكية، فأصدر العديد من البيانات في مراحل مختلفة يدين فيها قتل الأمريكيين في العراق** و يؤكّد على أن هذا يضر بالإسلام والمسلمين، غير

---

* انظر على سبيل المثال: بيان حزب ا الخاص باستنكار ما سماه "التطاول على آية ا العظمى السيد علي السيستاني" بتاريخ ١٥-١٢-٢٠٠٥ وجاء فيه: "يستنكر حزب ا بشدة ما تعرض له مقام المرجع الديني الكبير سماحة آية ا العظمى السيد = = السيستاني حفظه ا من تطاول وإساءات ... ويعتبر ذلك خروجاً على القيم والسلوكيات ... في تعاملهم مع المراجع الروحية والدينية بكل ما يستحقون من احترام وتقدير ... ندعو قناة الجزيرة إلى الإعتذار الفوري وتقديم التوضيحات الضرورية عن هذا التصرف المرفوض الذي تسبب بإهانة المقدسات واستفزاز وجرح مشاعر مئات الملايين من العرب والمسلمين". هذا مع العلم ان الحاكم الامريكي للعراق بول بريمر قد خص السيستاني بشكر كبير في مذكراته التي كتبها بعنوان "عام قضيته في العراق" و ذكر فيه تفاصيل التعاون السري بينه وبين السيستاني!!

(٧٩) أنظر: خطاب قائد حزب ا محاولة فاشلة لاستخدام رصيده لتبرير مواقف مراجع الشيعة في العراق. ما رأي الشيخ نصرا برفض "بحر العلوم" اعتبار اميركا محتلة وبهتافه لبوش، موقع العرب اليوم ٢٩-٧-٢٠٠٣.

** نيكولاس بيرغ على سبيل المثال.

ملتفت أو مهتم لأمر الإسلام والمسلمين حين يتعرضون لحملات إبادة أمريكية كما حدث في الفلوجة أو الرمادي أو تلعفر أو غيرها!!

و بدلاً من أن يحمل على الاحتلال الأمريكي والدور الإيراني التخريبي الواضح والجلي في العراق وينسب إليها أعمال التفجير والقتل التي تحصل والتي تشهد العديد من الوقائع العملية - كاحتجاز الجواسيس البريطانيين في البصرة ومقتل الجواسيس الأمريكيين قرب الفلوجة - على أن الاحتلال وأعوانه وراء هذه التفجيرات، قام بنقل ذلك إلى المقاومة العراقية ليزيد من تشويه صورتها، بل ادعى أن ما لديه هو معلومات "مؤكدة وليست أخبارا" ليستطيع بذلك تأكيد تشويه صورة المقاومة العراقية البطلة في أذهان الناس على اعتبار أنه لا يكذب في كلامه. وقد أدى بذلك دوراً كبيراً يفوق الدور الأمريكي والإسرائيلي والإيراني في الطعن في المقاومة العراقية.

فقد قال الأمين العام لحزب ا في تصريح له: "**اليوم العمليات التي تستهدف العراقيين في العراق ـ بحسب معلوماتي وليس تحليلاً ـ بعض العمليات التي تستهدف المدنيين في أغلب المناطق العراقية تقوم بها جهات من بينها جهات صدامية التي ترى في قتل الناس وعموم العراقيين طريقة لإرهابهم وإرعابهم لإخراجهم من الساحة ... هناك مجموعة أخرى(...)، الجماعات التكفيرية التي لا تكفر الشيعة وحدهم بل كثيراً من السنة بل تكفر بعضها وتكفر من عداها فهي المسلمة والمؤمنة وحدها. هذه المجموعات تمارس عمليات قتل ذريعة وواسعة في العراق**"(٨٠). ثم استدرك قائلاً كي لا يقع عليه الحرج: "**وهناك عمليات استهدفت المدنيين يديرها جنرالات وضباط أمريكيون مباشرة في مراكز الاحتلال الأمريكي، أضف إلى الخطوط النفوذية والجاسوسية المفتوحة على الجماعات الأولى التي تحدثنا عنها**"(٨١).

---

(٨٠) راجع: كلمة حسن نصرا بمناسبة "ذكرى الكاظم" بتاريخ ٢-٩-٢٠٠٥.

(٨١) نفس المرجع السابق.

نلاحظ في هذا الكلام أنه استبعد نهائيـاً أي دور لإيـران أو لعملائهـا أو للمخابرات الإسرائيلية واتّجه مباشرة إلى المقاومة العراقية يتّهمها بهذه الأفعال. ولكي لا يعطي ذريعة لانتقاده ذكر مسألة الضباط الأمريكيين ثم عاد إلى اتّهـام المقاومة. هذا الخطاب ليس استثناء، فجميع كلمات الحزب وأمينه العام تـصب في هذا الإطار الجامع.

إن موقف حزب ا لم يتوقف عند باب عدم الاعتراف بشيء اسمه مقاومة عراقية، بل تخطّاه إلى مهاجمتها بنفس الكلام والسياق الأمريكـي والإسـرائيلي وعملائهم في العراق الذين دخلوا على ظهر الدبابة الأمريكية.

لقد كان الحزب يستتر عندما يتم إحراجه بموضوع المقاومة فـي العـراق وأفغانستان خلف أجوبة هلامية عامية فضفاضة لا يفهم منها الحق من الباطـل وتنطبق على الصالح كما على الطالح، إلى أن جاء خطابه الشهير فـي ذكـرى الإمام الكاظم الذي تزامن مع حادثة جسر الأئمة في بغداد، حيث صنّف الـسيد حسن المقاومة العراقية أمام حشد هائل من الجمهـور و الكـاميرات و النقـل التلفزيوني بين: "صدامي بعثي و تكفيري إرهابي". ثم أصبح يردد منذ احـتلال العراق مصطلحات مثل: العراق الجديد، التكفيريين، البعثيـين، فلـول النظـام، الإرهابيين، الانتخابات الحرة، المقاومة السياسية.

و قد بلغ موقف حزب ا وقيادته المتمثلة بالسيد حسن نصرا من الخزي والعار إلى درجة تماهيه مع الموقف الأمريكي والإسرائيلي تماما، ففـي نفـس الخطبة يقول: " **فليتح للشعب العراقي أن يعبر عن رأيه وخيـاره، وليـتح للـشعب العراقي أن يختار نوابه ولو في ظل الاحتلال لأن ذلك وسيلة من وسـائل مواجهـة الاحتلال!!**"[٨٢].

(٨٢) نفس المرجع السابق.

هنا هو يردد نفس الكلام الذي كان يردده بوش ورامسفيلد وبريمر، يريدون إجراء انتخابات فليس في العراق أي مشكلة سوى الانتخابات، والسيد حسن بعد شتمه المقاومة العراقية يدعو فقط إلى المقاومة السياسية السلمية على طريقة آية ا السيستاني!!

بل أن مواقف العلمانيين والشيوعيين "الذين يعتبـرون خـصوم الحركـة الإسلامية" أصبحت أكثر تقدماً بكثير في دعم المقومة العراقيـة مـن مواقـف الحزب السلبية، لدرجة دفعت العديد منهم - من الـذين لا يؤمنـون أصـلاً لا بمقاومة إسلامية و لا بالشريعة - إلى الرد على أقواله ومزاعمه ومـنهم علـى سبيل المثال لا الحصر "نوري المرادي" وهو شيوعي عراقي حيث أفرد مقالتين كاملتين حول الموضوع ننقل مقاطع واسعة منهما فيما يلي:

"أيها الإمام الفاضل حسن نصر ا ، **فالتكفيريون إخوة لك فـي الـدين ومـا ينسحب عليهم ينسحب عليك.** أنت بطل تحريـر لبنـان وهـم أبطـال الجهـاد وسيبشروك بتحرير الجزيرة بعد العراق وأفغانستان .... أقـول هـذا ومـستعد لجدالكم عليه متحدياً حتى تنثنون. **فإن كنت والتكفيريين على خـلاف فـي شـيء فدعهم ويدعوك!.... و الصداميون، هم أيضا إخوة لك، شئت فـي هـذه أم أبيـت! فالصداميون يقاتلون المحتلـين الآن مثلـك وأشـد بـدرجات.** والـصداميون الآن يسيطرون على مناطق بأسرها في العراق محررة لا يدخلها قـرد مـن قـرود الاحتلال ولا غلمانه إلا على منيته ... **فما هذا التناقض أيها الأمام نصرا ؟! لماذا تدعم آل الحكيم الذين تجسسوا للأمريكان عن حال العراق والمسلمين؟! أم تنسى أن المقبور باقر حكيم أفتى لجهة التعاون مع أمريكا وبالضد من أمر ا تعـالى بعـدم موالاة الكافرين؟**"[٨٣].

---

(٨٣) أنظر مقال: "الى الإمام حسن نصرا !"، نوري المرادي، شـبكة البـصرة، ٤ ايلـول ٢٠٠٥ على الرابط التالي:
http://articles.abolkhaseb.net/ar_articles_2005/0905/morad2_040905.htm

و يضيف في مقال آخر له ردا على الأمين العام لحزب ا : "**أردت التحدث معك حول مصطلح "التكفير" الذي بدأت تردده باندفاع في خطاباتك ...** أنت وإن لـم تستخدم التكفير استخدام الرعاع، لكنك كررته بخطابك مندفعاً بحماسة وشـطط. وكأنك ترى بالذي تصمه بالتكفير جباناً يعاني من عقدة مفترضة لذاك تتـشاطر عليه وتختال أمامه بقوتك، انتصاراً لمظلمة أو شيء من هذا القبيل ... المأخـذ الثاني، **افتراض مني بأنك تقصد بالتكفيريين، جماعة من السنة الوهابيين، أو مـن يسمون بالسلفيين ...** ملخصاً، فإن أخذنا التكفير بمفهومه الفقهي الـصحيح، أي الحكم على ممارس نواقض الإيمان بالكفر؛ وإن أخذنا التكفير على أنـه جهالـة وابتعاد عن روحانية الإسلام ؛ وإن أخذنا التكفير على أنـه أداة بيـد المحتلـين وغلمانهم ورعاعهم يرجمون به من ليس على هواهم، إذا أخذنا أحد احتمـالات هذه المعاني للتكفير أو كلها معياراً للحكم، **فلن يـرى العراقيـون أو المتـابعون المحايدون التكفير بغير فيلق بدر والمجلس الأعلى وآل الحكيم الأصفهاني وسستاني ومن والاهم. هؤلاء حصراً هم الأشد جهالة والأشد أخذاً بالترهات والأشـد عمالـة والأشد إهانة للدين والتشيع والأشد تكفيراً لمن ليس على هـواهم! فحاشـاك يـا سماحة الإمام المجاهد حسن نصرا والخلط فـي التعـابير والتعـاريف! وبعـداك والانزلاق لموقع لا تقر عليه قدمك! وأن تعود عن خطل عـارض لهـو خيـر لـك وللملايين من محبيك على أن تأخذك العزة بالإثم!**"[٨٤].

باختصار شديد، وإذا ما عمدنا إلى مقاربة مواقف حزب ا مـن مـشاريع المقاومة الإسلامية في العالم الإسلامي، سنلاحظ ثلاث مواقـف أساسيـة لـه هـي:

---

(٨٤) أنظر مقال: "الى الإمام حسن نصرا ثانية! عن العمهِ والتكفير!"، نـوري المـرادي، شبكة البصرة، ٩ ايلول ٢٠٠٥ على الرابط:
http://articles.abolkhaseb.net/ar_articles_2005/0905/morad_090905.htm

- الموقف الأول: التجاهل التام والشامل واتخاذ موقف اللامبالاة تجاه قـضايا جوهرية كالشيشان وأفغانستان والبوسنة وكشمير.
- الموقف الثاني: التهجم والتطاول والتشويه المقصود والعمـدي والإلغـاء كحالة المقاومة العراقية والأفغانية، بل والتمـاهي مـع مواقـف المحتـل وعملائه.
- الموقف الثالث: التأييد والتـشجيع "الخطـابي" الـدائم والعلنـي للقـضية الفلسطينية.

و إذا ما جمعنا هذه الملاحظات مع بعضها نستطيع أن نستنتج أن الموقـف من القضية الفلسطينية هو موقف مصلحي بامتياز، لأن المفـروض أن المبـدأ الإسلامي لا يجزئ الاحتلالات خاصة إذا كانت الجهة هي ذاتها (لا فرق بـين إسرائيل و أمريكا). فإذا كان التأييد للفصائل الفلـسطينية الإسـلامية والقـضية الفلسطينية تأييداً عقائدياً فهذا يفترض تأييد المقاومـة العراقيـة لأن الطـرفين مسلمان ومن المذهب السنّي، والطرفان أرضهم محتلّة ومقـاومتهم مـشروعة، والاثنان يواجهان ما يدعي الحزب أنهم أعداؤه "إسرائيل وأمريكـا"، والاثنـان عرب - إذا إن هذا يشكّل مأخذا مثلاً - .

ولذلك، نلاحظ أن الحزب وعبر قياداته يقوم عندما يتم إحراجه بالالتفـاف على الموضوع إما من خلال كلام عام شامل هلامي مطاطي وإما مـن خـلال إعطاء مبررات ومسوغات وتأويلات فاضحة لا تستند إلى شـرع أو ديـن أو أخلاق أو عقل، كما فعل عندما برر موقف المراجع والطبقة السياسية والدينيـة التي جاءت مع الأمريكيين إلى العراق.

الدور الإيراني في مساعدة الأمريكيين واضح في العراق من خلال الإطاحة به وتدميره مع بنيته التحتية ومؤسساته السيادية وحل جيشه والسعي إلى تقسيمه، لذلك فإن إيران والأطراف الشيعية المرتبطة معها في داخـل العـراق تتحمـل المسؤولية الكاملة عن الأفعال الثلاثة السابقة والتي تصب في خانة دعم الكيـان

الصهيوني. وكان من نتائج الأفعال السابقة انتهاء خطر الجبهة الـشرقية علـى إسرائيل وتغيير العقيدة القتالية للجيش العراقي.

فكيف يمكن أن نجمع ونوفّق بين صورتين متناقضتين لإيران؟ في الصورة الأولى، تدعم إيران إسرائيل وتهيئ السبل لتمكنها من الاستقرار كما حدث فـي العراق، وفي الثانية، تحارب إيران إسرائيل بواسطة "حزب ا " كما حدث فـي لبنان، مع الحرص الكامل على أن تكون الطائفة الشيعية وحدها هي المقاتلة في الجنوب اللبناني.

يكون التوفيق بإدراك أن المقصود من قتال "حزب ا " للعدو الصهيوني في لبنان هو الدعاية والترويج لإيران والطائفة الشيعية على مستوى لبنان والعـالم العربي والإسلامي من جهة، ومن أجل التغطية على جرائم إيران في العراق من جهة ثانية[٨٥].

أما بالنسبة لموقف الحزب من مشروع المقاومـة الفلـسطينية، فالتفـسير الوحيد لهذا التناقض هو أن الحزب يريد الانتفاع من قدسية القضية الفلـسطينية ليقوم بدوره الذي شرحناه في القسم الأول للترويج لنفـسه واختـراق القاعـدة الشعبية العربية والإسلامية من أجل الدور الذي يلعبه فـي خدمـة المـشروع الإيراني. هذه المصلحة لا تتعلق بمصلحة الحزب بشكل خـاص فقـط، إنمـا بالمصلحة الإيرانية بالأساس. فالمعروف أن تأييد حزب ا لأي مقاومـة فـي العراق – سواء إسلامية أو وطنية أو قومية- يـصب ضـد مـصلحة النظـام الإيراني بالدرجة الأولى، ثم الطائفة الشيعية بالدرجة الثانية. لذلك ومن خـلال مقاربة المواقف، نستطيع أن نستنتج أن الحزب يرى إن احتلال العراق أوصـل الطائفة الشيعية وخاصة الموالية لإيران إلى الحكم وبالتالي فهذا مكسب لا يجب

---

(٨٥) أنظر انظر مقال: "دور ايران و حزب ا في القضية الفلـسطينية"، غـازي التوبـة، صحيفة الحياة، ٢٥-٨-٢٠٠٦.

التفريط به عبر تأييد أي مقاومة عراقية مسلحة، فما بالك إن كانـت المقاومـة إسلامية سنية!!

وهذا يبرز حقيقة الموقف الطائفي للحزب وسكوته عن تلاقي مصالحه مـع المحتل حيث تنتفع الطائفة الشيعية "الموالية لإيران" هناك من الاحتلال الأمريكي وبالتالي يزداد النفوذ الإيراني الذي هو أصل وأساس دور حزب ا ، وصـعود الشيعة في العراق لا بد وانّه يؤثّر على صعود الأقليات الشيعية في المنطقة وهذا في صالح إيران وكل ما هو في صالح إيران في صالح حزب ا وسيقبل به.

القسم الرابع

حرب تموز ٢٠٠٦ و تداعياتها

في هذا الباب نتناول الحرب الأخيرة التي حصلت في تموز ٢٠٠٦ وتداعياتها.

فعلى الرغم من أن ملابساتها لا تزال غامضة لدى كثيرين، وعلى الرغم من أن تفسيرها يتم في إطار متعدد ومختلف وأحيانا كثيرة متناقض، إلا أننا سنتناول أسبابها، ملابساتها، الهدف منها، نتائجها في إطار يكاد يكون فريداً من نوعه ومنفرداً، ويأتي في سياق التسلسل الطبيعي لمجريات الأحداث وقواعد اللعبة التي نشأت بين إسرائيل وحزب ا .

إن اختلاف التفسير يطرح سيناريوهات بين أن يكون حزب ا استدعى حرباً على لبنان من خلال علمه بما سيحصل من نتيجة لخطف الجنديين خاصة أن حالة غزة كانت لا تزال ماثلة، وبين أن تكون إسرائيل استغلت عمل حزب ا وفاجأته في حجم و سرعة الرد وأدخلته في حرب لم يختر توقيتها.

و لا يقتصر هذا الاختلاف في التفسير بين المحللين، بل حتى إن حزب ا يشارك به بشكل أساسي، فهو إلى اليوم لا يقدم قراءة حقيقية لما جرى و يقوم بتقديم قراءات تتناقض وتتضارب مع بعضها البعض، فمن تفسيراته لاندلاع الحرب:

١- إن العدوان الإسرائيلي كان معداً وفق معلوماته ليكون في أيلول أو تشرين الأول ... عندما قامت عملية الأسر فإن المقاومة من حيث لا تعلم أحبطت الخطة الأخطر والسيناريو الأسوأ للحرب على لبنان[٨٦]، وهذا معناه أن الحزب كان يتوقع الحرب لذاك استبقها بخطف جنديين فأحبط الخطة الإسرائيلية، وأنه لو لم يفعل لكن الأمر أسوأ!!

---

(٨٦) راجع مقابلة نصرا مع قناة المنار في ٢٦-٧-٢٠٠٦.

٢- "إن قيادة حزب ا لم تتوقع ولو واحداً بالمائة أن عملية الأسر ستؤدي إلى حرب بهذه السعة وبهذا الحجم ... لو علمت أن عملية الأسر كانت ستقود إلى هذه النتيجة لما قامت بها قطعاً" وهذا مناقض تماماً لما تم ذكره أعلاه(٨٧).

٣- إن قادة الرابع عشر من آذار ذهبوا إلى أميركا وحرضوا بشن الحرب على حزب ا !!(٨٨)، هذا يعني أن الحرب لم يكن لها علاقة لا بترتيبات إسرائيلية منذ الأساس ولا بعملية خطف الجنود من قبل حزب ا وهو ما يناقض التوجهين السابقين.

٤- تفسيرات عملية تشير إلى الهزيمة من خلال قبول الأمر الواقع، وأخرى نظرية تشير إلى نصر إلهي تاريخي استراتيجي(٨٩).

على أية حال، كانت تطورات عديدة خطيرة إقليمية ودولية وقعت بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان في العام ٢٠٠٠، فحصلت هجمات نيويورك وواشنطن من قبل القاعدة في العام ٢٠٠١، وقام الأمريكيون باحتلال وغزو أفغانستان في العام نفسه ثم تدمير العراق واحتلاله بالكامل في العام ٢٠٠٣. وقد لوحظ أن الحزب زاد من أهمية الحفاظ على الهدوء على الحدود مع إسرائيل وتأكيد عدم إزعاج المستوطنات، فلم يقم بأية عمليات كبيرة أو بأي خرق خطير للتفاهمات التي كانت حاصلة وذلك كي يؤكد للإسرائيليين وللأمريكان بأنه غير الفصائل الجهادية الأخرى في العالم الإسلامي وانّه لا يشكل "خطراً إرهابياً" وأنّه حركة مقاومة ذات غاية دفاعية فقط.

فقد حذّر وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك شاؤول موفاز، من أن إسرائيل ستضرب لبنان في حال استغلّ حزب ا الحرب على العراق للهجوم عليها،

(٨٧) راجع مقابلة نصرا مع تلفزيون الجديد في ٢٧-٨-٢٠٠٦.

(٨٨) راجع: الحريري: ايران تبث الفرقة في لبنان، ١٤-١٢-٢٠٠٦، موقع سوريا الحرة.

(٨٩) انظر سياق البحث لاحقا.

وكان رد حزب ا بطريقة غير مباشرة عبر النائب التابع له عبـد ا قـصير الذي صرح: "**لا توجد في تاريخ حزب ا المقاوم أي حالة ضرب مواقع أو أهداف إسرائيلية إلا كردة فعل على اعتداء يطال المدنيين اللبنانيين**" وأضاف: "**حـزب ا ملتزم بهذا السياق، وهو غير معني بما هو خارجه**"(٩٠). الترجمة لهذه الجملـة أن حزب ا ملتزم بالاتفاقات بخصوص قواعـد اللعبـة التـي لا علاقـة لهـا لا بموضوع عراق ولا أفغانستان ولا غيرهما!!

ومع ذلك ، ومنذ العام ٢٠٠٠ ، فقد انتقل الضغط الشعبي اللبنـاني ليـدفع باتجاه المطالبة بخروج سوريا من لبنان وإلى تسليم الحزب لسلاحه، وقد تحقـق الجزء الأول بعد عملية اغتيال الحريري في آذار من العام ٢٠٠٥، وبقي الجزء الثاني مثار جدل لا سيما بعد صدور القرار ١٥٥٩ الذي يؤكّد علـى ضـرورة بسط سيادة الدولة اللبنانية سيادتها على كامل أراضيها وسـحب سـلاح جميـع الميليشيات. بمعنى آخر كان هناك مطالبة لتفعيل اتفاق الطائف في هذا الجانـب خاصة إن الآية انقلبت بعد الخروج الإسرائيلي من لبنان فأصبحت سـوريا فـي المأزق الذي كانت إسرائيل فيه.

في ٢٠٠٦/٧/١٢، قام حزب ا بعملية خطف جنديين إسرائيليين وقد سمى العملية باسم "الوعد الصادق" على أساس إن الهدف منها سيكون تحرير أسـرى لبنانين محتجزين لدى إسرائيل. لقد جاءت العملية في ظروف غريبة جداً، داخلياً على الصعيد اللبناني، وحدودياً على صعيد الداخل الفلـسطيني وإقليميـاً علـى الصعيد الإيراني.

وبغض النظر عمن هو صاحب قرار عملية الخطف : الحزب أم إيران، إلا أن المؤشرات كانت توحي بأن إيران هي التي طلبت منه ذلك، على أسـاس أن

---

(٩٠) انظر: "حزب ا : لن نهاجم اسرائيل الاّ اذا استهدفت لبنانيين". صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٨٠٨، الخميـس ٩ يناير ٢٠٠٣.

اختطاف جنديين إسرائيليين سيأخذ بعداً دوليا و ستضطر الجهات المتضررة إلى طلب أن تتدخل إيران وسوريا كطرف مفاوض وعندها تحصل المساومات في الملفات والمماطلات.

ولعلّ الحزب كان يرى – بذاته أو عبر داعميه - أن الوضع الداخلي الإسرائيلي متأزم وأن إسرائيل منخرطة في معركة الاعتداء على غزة ومشغولة بها ومستنزفة داخلياً ومتخبطة سياسياً و عندها مأزق في اتّخاذ القرارات خاصة بعد العملية النوعية للفصائل الفلسطينية "الوهم المتبدد".

ومن هذا المنطلق رأى الحزب أن الوقت الآن هو أفضل وقت لتنفيذ عملية سريعة وخاطفة يتحقّق عبرها تسجيل عدة نقاط داخلية وخارجية لصالح الحزب و لصالح الداعمين له ومنها(٩١):

١- إعادة إحياء شعبية حزب ا على الصعيد الداخلي من خلال تبنيه قضية الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية وهي بالطبع قضية وطنية سيتّحد كل الشعب اللبناني عليها وسيتّخذ موقفاً ايجابياً منها، وبالتالي استخدام هذه الشعبية التي سيحصل عليها كورقة ضغط في التفاوض على طاولة الحوار اللبنانية لتحقيق العديد من المكاسب دون أن يظهر إن حزب ا متعنّت ومعزول داخلياً وخارجياً.

٢- الحصول على دعم شعبي واسع في العالم الإسلامي واستغلاله في محو الصورة السيئة التي نشأت عن امتناع شيعة العراق عن مقاومة الاحتلال الأمريكي وانخراطهم في إطار حملة دنيئة لتصفية المقاومة العراقية الإسلامية والوطنية بالإضافة إلى التجمعات السنية المعزولة إقليمياً ودولياً بسبب انتماء المقاومة لها.

---

(٩١) راجع: مقال "قراءة مغايرة لمجريات ما حدث بين حزب ا و اسرائيل"، علي حسين باكير، صحيفة الشرق القطرية، الاثنين ١٧ يوليو ٢٠٠٦.

٣- إظهار التضامن أو التقاطع مع غزة وما يجري فيها و بالتـالي الحـصول على دعم عربي شعبي كبير.

٤- الرد الغير مباشر على مسألة التهديد الإسرائيلي لـسوريا عنـدما أعلنـت الطائرات الحربية الإسرائيلية قبل ما يقرب من أسبوع تحليقها فوق القصر الرئاسي للرئيس بشّار الأسد في قلب وعمق سوريا مع إمكانية إعادة إدخال سوريا إلى لبنان سياسياً أو عملياً من خلال إمكانية إقحامها في دور ما في مسألة التفاوض على الجنود و الأسرى.

٥- توافق العملية مع دخول خافيير سولانا في اجتماع مع الإيرانيين بخصوص البرنامج النووي الإيراني مع علم الجميع أن الاجتماع لم يكن ليتوصل إلى أي شيء مما يعني أنه سيكون هناك تصعيد ضد إيـران، فجـاءت هـذه العملية ضمن هذا السياق أيضا.

انطلاقا من المعطيات التي شرحناها أعلاه، فان الحزب كان يتوقع أن يكون الرد الإسرائيلي على خطف جندييه محدودا نظرا لانغماس إسرائيل في المشاكل الداخلية الكثيرة التي تعاني منها، كما توقّع الحزب في أسوء الأحوال أن تقـوم إسرائيل بقصف محدود لبعض المناطق المعزولة في الأحراش ينتهـي بـدعوة جميع الأطراف إلى بدء مفاوضات من أجل تبادل الأسرى، و لذلك فهـو أبلـغ إسرائيل علناً أن نيته هي عدم التصعيد و أن القواعد يجب أن تكون محـصورة في هذه اللعبة فيما يتعلّق بالتفاوض حول الأسرى فقط[٩٢].

من الناحية الإسرائيلية، نعتقد أن إسرائيل رأت أن الوقت قد حـان لتغييـر قواعد اللعبة مع حزب ا خاصة أن الأرضية اللبنانية والدولية باتت جاهزة لهذا التغيير وبما أن الحزب هو من أقدم على خطوة خطف الجنديين أولا، فإن هـذه العملية ستشكّل ذريعة ممتازة لإسرائيل للمضي في خطتها، فصحيح إن الحـزب

---

(٩٢) راجع البيان الأول لأمين العام لحزب ا فور اختطاف الجنديين.

قد التزم وأدى دوره على الحدود مع إسرائيل في فرض الهدوء ومنع التسلل، إلا أنه قد ضخّم من نفسه - سواء عبر الدعاية و الادعاء أنه قوة رادعة لإسـرائيل أو عبر تخزين الأسلحة والصواريخ - فأصبح في موقـع أكبـر مـن الموقـع المرسوم له في الخطّة الإسرائيلية والرؤية الإستراتيجية التابعة لها.

و إذا كان لا بد من الضغط على إيران من قبل أمريكا أيضا، فإنه يجـب تجريدها من أوراقها الإقليمية ومنهم حزب ا بطبيعة الحال. ولذلك قررت شن حرب على لبنان يكون الهدف الأساسي منها إيجاد بديل لحزب ا يقوم بـنفس دوره السابق مع فارق عدم قدرته على ابتزازها، وهو ما سـيكون فيمـا بعـد (القوات الدولية + الجيش اللبناني)، الذين سيكونون في موقع دفاع دون صلاحية الهجوم.

أما البعد الخارجي للحرب على لبنان فيتمثـل فـي صـراع المـشروعين الأمريكي والإيراني بحيث تستخدم الأولى إسرائيل كأداة لها وتـستخدم الثانيـة حزب ا ، وللحقية، فانّه من الخطأ القول إن إيران اختارت هذه الحرب في هذا التوقيت، لكنها اختارت عملية الخطف، بمعنى أنها لم تكن تريد إشعال حرب أو الوصول إلى هذه المرحلة. فإيران عبر حزب ا كانت تريد استعراض ورقتها "حزب ا " في لبنان عبر عملية أسر جنديين إسرائيليين خاصة أن الحدث تزامن مع فشل محادثات خافيير سولانا مع إيران حول برنامجها النووي الذي وصـل إلى طريق مسدود. وعمليات الخطف التي تدعمها إيران عادة تتيح لها التفاوض ومزيداً من الوقت، وهذه إستراتيجية واضحة لمن خبر الـدور الإيرانـي فـي الثمانينات وكيف كانت تستغل عمليات الخطف التي تتم في بيروت مـن أجـل التفاوض مع القوى الكبرى على مكاسب، إذ من غير المعقول أن تقـوم إيـران بدعم الحزب بمليارات الدولارات ومختلف أنواع الصواريخ من أجـل حـرب عبثية، فدور الحزب وترسانته ستكون أقوى في حال تعرض إيران لأي تهديد أو ضربة، حينها يكون تأثيره على قلب إسرائيل مخيفاً.

لكن الذي حصل أن الولايات المتّحدة الأمريكية التي سئمت المماطلة الإيرانية استغلت الخطأ في الحسابات الذي وقع به الحزب عندما قام بعملية الخطف، وذلك في محاولة منها للقضاء على الورقة الإيرانية للانقضاض على الأوراق الأخرى قبل التفكير بشن أي هجوم عسكري مستقبلا على إيران لتجريدها من قدراتها النووية – إذا افترضنا أن ذلك سيحصل -.

والذي يؤكّد هذا الكلام تصريح أمين عام حزب ا حسن نصر ا الذي قال بنفسه من انّه لم يردها حرباً مفتوحة و أن الإسرائيليين هم من أرادوا ذلك و سيحصلون عليها، هذا التصريح يحمل عدة معاني هامة منها[٩٣]:

أولا: إن الحزب لا يخوض حرب إلغاء مع إسرائيل أو حرب وجود، إنما حرب محدودة يستثمر نتائجها في سبيل الترويج لنفسه ولإيران ولهذا فان حروباً كهذه حروب يكون لها قواعد و خطوط حمراء و إشارات ثنائية.

ثانياً: إن الحروب التي خاضها الحزب سابقاً لم تكن بأي حال من الأحوال مفتوحة وأنها لم تكن خياراً استراتيجياً وعقائديا بقدر ما هي خيار تكتيكي وموسمي الهدف منها قطف ثمارها إعلامياً وإقليمياً وتجييرها لإيران وسوريا، وإلا فأنا لم اعرف أن هناك مجاهدين أو مقاومين في تاريخ الشعوب يمنعون الآخرين من الجهاد و القتال إلا إذا كان لهم مصلحة معينة في حصر القتال بهم، و هذا ما يفعله حزب ا .

ثالثاً: إن الحزب عندما وقعت الحرب و صارت امراً مقضيا مع إسرائيل، استتر الحزب خلف خطاباته عن الأمة الإسلامية والأمة العربية والدفاع عن المستضعفين، فالحرب واقعة واقعة، فلتستغل إعلاميا "حسب رؤيتهم"، للترويج خير من أن تذهب سدى.

---

(٩٣) أنظر مقالنا: "الحرب على لبنان بين المشروعين الايراني و الأمريكي"، علي حسين باكير، مجلة البيان، العدد ٢٨٨، أيلول ٢٠٠٦.

يقول نصر ا في أول خطاب له بعد اندلاع الحرب: "...إن حـزب ا لا يقوم الآن بمعركة حزب ا ولا يخوض معركة لبنـان، نحـن الآن أصـبحنا نخوض معركة الأمة شئنا أم أبينا، شاء اللبنانيون أم أبوا. لبنان الآن والمقاومـة في لبنان تخوض معركة الأمة. أين هي الأمة من هذه المعركة؟ هـذا الـسؤال برسمكم من أجل دنياكم وآخرتكم"[٩٤].

عندما أراد شرفاء الأمة الانتقام من العدو الصهيوني عبر الحدود التي كان يمسك حزب ا زمامها في سنوات الهدوء والترتيبات الأمنية بينه وبين العـدو الصهيوني، كان يمسكهم ويعذبهم ويرميهم بالسجون، وعندما علـق فـي هـذه الورطة أصبح يسأل عنهم بصيغة اللوم؟!!

على كل حال، في هذا الإطار تحركت الحكومة الإسـرائيلية فـي ثلاثـة محاور[٩٥]:

سياسياً: من خلال تحميلها الحكومة اللبنانية المسؤولية ونقل وتصعيد الملف دولياً من خلال مجلس الأمن أو من خلال القوى الدولية وعلى رأسـها أمريكـا وبالتالي تبرير استهداف كل ما يتعلّق بها ويتبع لها، فحزب ا ليس لديه مراكز ثابتة ومعروفة ليتم قصفها وبالتالي سيكون من الأسهل قصف مواقع حيوية تابعة للدولة اللبنانية.

اقتصادياً: تحميل الحكومة اللبنانية خسائر اقتصادية ضـخمة مـن خـلال ضرب الأهداف الحيوية والمرافق الإستراتيجية وتعطيل وشل الاقتصاد اللبنـاني السياحي والخدماتي لفترة طويلة على أمل أن يحدث هذا ضغطاً شعبياً مـتململاً من الخسائر مضاداً لحزب ا يدين تصرفه الغير محسوب و يعجـل بـسحب سلاحه.

---

(٩٤) راجع: كلمة نصرا الى الأمة في ١٦-٧-٢٠٠٦.

(٩٥) راجع مقالنا: "قراءة مغايرة لمجريات ما حدث بين حزب ا و اسرائيل"، مرجع سابق.

عسكرياً: من خلال قصف جوي موسع وبحري مركّز وبتوغّل بري عسكري عبر فرق خاصة إذا اقتضى الأمر و قصف سلسلة من الأهداف الحيوية والإستراتيجية ومنها: الجسور، محطّات الكهرباء ومحطّات الهاتف والمياه والمطارات إضافة إلى أماكن حيوية أخرى سواء تابعة للجيش اللبناني – في حال شكّلت تدخلاته ضغطاً - أو على مواقع الأحزاب والمخيمات الفلسطينية في لبنان.

اجتماعياً: تدمير بيئة حزب ا الحيوية المركزية والشعبية وكل ما يتصل به وبها سواء في الضاحية الجنوبية لبيروت أو في الجنوب، وإيقاع خسائر جسيمة ببنية لبنان الاقتصادية والمالية والعمرانية لزيادة الضغط.

والهدف من التحرك الإسرائيلي هذا وضع ضغط كبير على الحكومة اللبنانية سياسياً واقتصادياً وعسكريا عبر عملية "الثمن الرادع" وذلك في محاولة لدفعها تطبيق القرار الدولي ١٥٥٩ وبتّ أمره نهائياً مع تخطّي مسألة الأسرى والجنديين لانتهاز الفرصة والقضاء على حزب ا وجعل حزب ا ولبنان والشعب اللبناني يدفعون ثمنا باهظا يفوق بقيمته قيمة أي انتصار ممكن لحزب ا أن يحصل عليه إذا ما وقع تبادل للأسرى.

أدرك حزب ا متأخراً أبعاد الخطّة الإسرائيلية مع مرور الوقت، فحاول فرض قواعد جديدة مقبولة وخطوط حمر بينه وبين إسرائيل داخل هذه العملية للعب ضمنها وفي إطارها، وكان من بينها اعتماد الإستراتيجية التالية[٩٦]:

١- عدم ابتداء الحزب بأية عمليات ضد الجيش الإسرائيلي على أمل أن يعود الإسرائيليون عن مخطّطهم و أن لا يتم استفزازهم. (بعد أن تم استدعاء الاحتياط الإسرائيلي).

---

(٩٦) قراءة مغايرة....، مرجع سابق.

٢- محاولة ضبط النفس ومواكبة أي تصعيد إسرائيلي برد مساوى ومـوازى من حيث الفعالية النفسية.

٣- فرض خط احمر و الالتزام بعدم التعرض لحيفا طالمـا أن الإسـرائيليين ملتزمون بعدم ضرب الضاحية الجنوبية.

الذي حصل، هو أن إسرائيل خرقت كل القواعـد أيـضاً و تخطّـت كـل الخطوط الحمر مما أذهل حزب ا الذي لم يتوقع تصرف إسرائيل هذا خاصـة أنّه سبق والتزم وإياها خلال سنوات طويلة بخطوط وقواعد معروفة.

يقول رئيس الوزراء الصهيوني أولمرت في تصريح لـه فـي ٢٤ تمـوز ٢٠٠٦: "**اعتقد أن نصرا قد ارتكب خطأ فادحاً. فلو كان يظن ويعرف أن رد فعلنا سيكون على هذا النحو، لكان قد تصرف بشكل مختلف تماماً. إذ انـه جـرد نفـسه ومنظمته من كل شرعية في العالم بأسره**"(٩٧).

ومما يؤكّد ذلك، اعتراف نصر ا نفسه بقوله: "**إن قيادة حزب ا لم نتوقع ولو واحدا بالمائة أن عملية الأسر ستؤدي إلى حرب بهذه السعة وبهذا الحجم، .. لو علمت أن عملية الأسر كانت ستقود إلى هذه النتيجة لما قمنا بها قطعا**(٩٨).

هذا يعني أن إسرائيل أرادت مفاجأة نصر ا برد فعلها وقد استغلت خطوة خطف الجنديين أفضل استغلال، فمن سيكترث بجنديين إذا كانت مفاعيل الحرب ستكون ذات نتائج إستراتيجية!!. ولان الطرفين كانا يلتزمان بقواعد اللعبة طيلة فترة الست سنوات، فقد شكّلت المفاجأة ارتباكاً في إستراتيجية الحزب الذي لـم يكن يحضر لبديل ويعتقد انّه سيبقى على الحدود مع إسرائيل وفق برنامج خاص به.

هذا الذهول الذي أصاب الحزب رافقه عدم تماسك فـي الجبهـة الداخليـة اللبنانية على المستوى الحكومي والشعبي مع حـرب نفـسية كبيـرة وضـرب

---

(٩٧) موقع وزارة الخارجية الصهيونية بتاريخ ٢٤ تموز ٢٠٠٦.

(٩٨) مقابلة حسن نصرا مع تلفزيون الجديد في ٢٧-٨-٢٠٠٦.

إسرائيل لكل شيء يمكن تصوره في لبنان، الأمر الذي قصم ظهـر حـزب ا وشلّه تماماً وهو الأمر الذي لم يكن احد في العالم ليتوقعه خاصة مع تواجد حملة دولية مقبولة لإدانة التصرف الإسرائيلي من قبل كل من فرنسا، روسيا، الصين، البرازيل، سويسرا ألمانيا وغيرها من الدول التي أدانت الرد الإسـرائيلي بهـذا الشكل.

انتهت الحرب في ١٤ آب ٢٠٠٦، بعد مرور ٣٣ يوماً وأدت إلى خـسائر اقتصادية لبنانية بلغت حوالي ١٣ مليار دولار[٩٩] (بالإضافة إلى خـسائر غيـر مباشرة مالية بمليارات الدولارات).

و١٣٠٠ قتيل لبناني بالإضافة إلى أكثر من ٤٠٥٠ جريحاً و تهجير حوالي ٩١٦ ألف نسمة[١٠٠]، وتم تدمير أكثر من ٥٠% من البنية التحتيـة التـي تـم إعمارها في لبنان منذ العام ١٩٩٢ فيما يتعلّق بالمنشآت والطرق والجسور، فيما بلغ إجمالي عدد القتلى في الجانب الإسرائيلي ١٥٧ قتيلاً، و ٨٦٠ جريحاً[١٠١]، لكن الأهم من ذلك كلّه أن الحرب قد توقّفت بموافقة حزب ا وإسرائيل علـى قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١.

ما إن توقفت الحرب حتى تم إعلان "النصر الإلهي التاريخي الاسـتراتيجي الكبير" من قبل الأمين العام لحزب ا حسن نصر ا [١٠٢]، كما تعودنا وراء كل معركة. وبما أننا شرحنا الآلية لطريقة تحرك الحزب وإسرائيل بعد كل حـرب في هذه الدراسة، فان الحقيقة برأينا هي أن الحزب قد هزم هزيمة كبرى في هذه الحرب بالذات، ولا نعتمد في تحليلنا هذا على حجم الدمار أو الموت أو الخسائر التي لحقت بلبنان - مع ضرورة عدم إهمال هذا العامل أيـضا -، فـي تقيـيم

---

(٩٩) راجع: مجلة الكفاح العربي، ٢٥ كانون اول ٢٠٠٦.

(١٠٠) انظر: http://alwaqt.com/art.php?aid=12911

(١٠١) انظر موسوعة ويكيبيديا على الانترنت.

(١٠٢) راجع: كلمة نصرا في مهرجان النصر الالهي في ٢٢ أيلول ٢٠٠٦.

الانتصار أو الهزيمة لكل من حزب ا أو إسرائيل إنمـا بنـاء علـى عوامـل موضوعية يستطيع أي إنسان في العالم أن يحكم عليها فيما لو تم عرضها بعيداً عن عمليات التزييف الإعلامي والعواطف. فالمحلل الاسـتراتيجي لا يتبـع إلا البيّنة، والمعايير الموضوعية لمفهوم النصر والهزيمـة بالنـسبة لإسـرائيل أو لحزب ا يجب أن تقاس إلى الهدف الذي كان كل منهما يسعى إليه.

بالنسبة إلى حزب ا :

يمكننا أن نقول أن معايير النصر في حالته تتمحور حول أي من العناصـر التالية:

١- ردع إسرائيل.

٢- طردها (ولا نقول منعها، لأنه لا توجد جماعة مسلحة في العالم تمنع جيشاً من التوغل) من المواقع التي تدخلها في الجنوب اللبناني.

٣- إيقاع أكبر عدد من الخسائر البشرية في صفوفها بشرط أن يكون ذلك سبباً في اضطرارها إلى إيقاف الحرب من طرفها وحـدها أو انـسحابها مـن المناطق التي تدخلها على الأقل.

٤- فرض أية شروط عليها بغض النظر عن طبيعتها.

٥- إخضاعها لمبدأ توازن الرعب.

٦- إعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل عملية الخطف. (بمعنى بقاء الستاتيكيو القديم).

ومن أهدافه:

١- قبل الحرب: منع اندلاعها و حصر العملية بمسألة الجنديين، بالإضافة إلى إجبار إسرائيل على التفاوض بشأنهما.

٢- اثر اندلاع الحرب: فرض وقف إطلاق النار على إسرائيل قبل التوغل في الأراضي اللبنانية براً ومنعها عبر ذلك من تـدمير لبنـان وقتـل النـاس وتهجيرهم أو منعها من تحقيق أهدافها في هذه الحـرب فـي حـال تـم

التوغل.على أن العناصر الموضوعية التي ذكرناه أعلاه يصح أي منها أن يكون ضمن أهداف الحزب "اثر اندلاع الحرب".

إذا حقق حزب ا أي عنصر من العناصر المذكورة أعلاه يمكننا أن نتكلم عن نصر وعندها يمكن تقييم حجمه.

لكن إذا ما نظرنا وناقشنا العناصر الموضوعية والأهداف المذكورة أعلاه، سنرى أن حزب ا لم ينجح بتحقيق أي منها، نسوق تبريراتنا باختصار علـى ذلك:

١- مجرد أن إسرائيل أقدمت فعلياً على الدخول في الحرب فهذا يعني أنـه لا يوجد رادع، لان الردع معناه منع الآخر من التفكير في الهجوم، فان هجم فهذا معناه أن عنصر "الردع" إما ضعيف وإما انّه لا يوجد "رادع". و فـي الحالتين فقد أثبتت الحرب أن حزب ا كان يكذب في قوله "انّـه يـردع إسرائيل" وذلك من أجل أن يغطي مسألة "دوره الوظيفي على الحدود مـع إسرائيل" مع العلم أن حزب ا سنة ٢٠٠٦ أقوى بأضعاف مضاعفة مـن حزب ا سنة ٢٠٠٠، إذا كان يمتلك قدرة ردع.

٢- حزب ا لم يستطع طرد الإسرائيليين من المناطق التي دخلوها بـدليل أن الجنود الإسرائيليين بقوا لمدة حوالي شهر كامل داخـل المنـاطق التـي استولوا عليها في جنوب لبنان بعد توقف الحرب!!

٣- أوقع حزب ا بعض الخسائر البشرية في صفوف القـوات الإسـرائيلية، ولكن لم تكن كافية لجعل العدو ينسحب وهذا يعني أن هذه الخسائر غيـر مؤلمة للعدو مقارنة بالهدف الذي يسعى إلى تحقيقه. (مع العـام أن هـذه الخسائر كان من المفروض أن تكون أكثر بكثير إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ترسانة حزب ا من الأسلحة و الخبرة والتـدريب الخـاص، إلا أن أداؤه يعتبر متواضعاً قياساً إلى الجماعات الجهادية في العالم الإسلامي والتي لا

يتوفر لها جزء يسير مما هو متوفر لدى الحزب ومع ذلك فـان فعاليتهـا أكبر من فعاليته).

٤- لم يتم فرض أي شروط على إسرائيل كما سـنرى لاحقـا مـن خـلال استعراض القرار.

٥- لم يكن هناك توازن رعب حقيقي يدفع إسرائيل إلى التراجع، و هذا أمـر يتعلق بنقطة الردع أيضا و قد تمت مناقشتها.

٦- لم ينجح الحزب في إعادة الوضع بعد الحرب إلى ما كان عليه قبل خطف الجنود الإسرائيليين.

بالنسبة إلى إسرائيل:

يمكننا أن نقول إن معايير النصر تتمحور حول:

١- تغيير الأوضاع على الحدود. فقد صرح أولمرت: **"يجب أن يكون واضـحاً أن إسرائيل لن تعـود إلـى الوضـع الـذي سـبق أحـداث يـوم الأربعـاء الماضي"**[(١٠٣)]**،"إن هذه العملية في نهايتها سوف تؤدي إلى تغيير كبير بالنسبة لسكان شمال البلاد"**[(١٠٤)].

٢- تكبيد لبنان خسائر اقتصادية وعمرانية ضخمة للغاية وإرجاعـه لعـشرين سنة أو أكثر إلى الوراء إذا لم يرجع حزب ا الجنديين (هم يعلمون أنه لن يرجعهم، لذلك فقد حشروا الحزب بهذا الخيار إما إرجاعهم و إما تـدمير لبنان) كما صرح بذلك المسؤولون الإسرائيليون[(١٠٥)]، وذلك لـجعل ثمـن حصول أي تبادل للأسرى كبيراً جداً بحيث يضمن عدم تحقيق حـزب ا لأي انتصار، وهو على عكس ما كان سيحدث فيما لو جرت عملية التبادل بالطرق التقليدية.

---

(١٠٣) موقع وزارة الخارجية الصهيونية بتاريخ ١٦ تموز ٢٠٠٦.

(١٠٤) نفس المرجع السابق، بتاريخ ٢٤ تموز ٢٠٠٦.

(١٠٥) تصريح لدون حالوتس – رئيس أركان الجيش الإسرائيلي- بتاريخ ١٣-٧-٢٠٠٦.

٣- تغيير قواعد اللعبة مع حزب ا أو إنهاؤها. ففي ٣١ تموز ٢٠٠٦ صرح رئيس الوزراء أولمرت: "**... يكاد هذا الأمر –أي شن إسرائيل الحرب على لبنان- يشكل فرصة منقطعة النظير لتغيير قواعد اللعبة في لبنان (مع حزب ا طبعا)**"[(١٠٦)].

أما الهدف فهو: خلق منطقة عازلة يحل فيها (الجيش + القوات الدولية) محل حزب ا . "هذا مطلب إسرائيل في كل حرب منذ عام ١٩٨٢ وحتى اليوم، وهو وجود جهة واحدة قوية على الحدود، و لما كان الجيش اللبناني ضعيفاً جداً عن منع الفوضى التي ستشكل خطراً كبيراً على إسرائيل فيما لو انتشر على الحدود في أي وقت سابق، فان حزب ا كان البديل المتاح والأفضل في هذه الحال وفق المنظور الإسرائيلي كما سبق وشرحنا، لكن الوقت حان لتغييره".

كان هذا المطلب الحقيقي لإسرائيل منذ بدء الحرب إما الحديث عن أن إسرائيل كانت تسعى من خلال العمل العسكري إلى نزع سلاح حزب ا ، فهذا أمر مبالغ فيه أولاً، لأنه لا يمكن لأي جيش في العالم مهما بلغت قوته "سحب سلاح" مجموعة مقاتلة بطريقة مباشرة، مع إمكانية فعل ذلك كنتيجة من نتائج الحرب (و هذا ما سعت إليه إسرائيل)، وثانياً لأن وجود منطقة آمنة مع قوة عليها يعطّل مفعول أسلحة حزب ا .

هناك قاعدة شبه ثابتة في الحرب تقول إن الحملات العسكرية التي تواجه أي مجموعة مقاتلة لا تستطيع التغلّب عليها عمليا على الأرض إلا بمفهوم الإبادة الجماعية لأفرادها "نموذج الفلوجة" أو "مخيم جنين". ونلاحظ في هذه الحالة أن المجموعة المقاتلة يجب أن تكون في موقع محدد جغرافيا. من هذا المنطلق، تعلم إسرائيل جيدا أنّه لا يمكنها القضاء على "حزب ا " بالمعنى العملي، والتصريحات التي بدأت حول قيام إسرائيل بالتحضير للقضاء على

(١٠٦) موقع وزارة الخارجية الصهيونية بتاريخ ٣١ تموز ٢٠٠٦.

حزب ا هي تصريحات في إطار الحرب النفسية أولاً، وثانياً في إطار السقف المرتفع الذي عادة ما يلجأ له جميع الأطراف في حالات كهذه لعلمهم انّه سـيتم تخفيضه في وقت لاحق[١٠٧].

وإذا ما ناقشنا هذه المعايير سنرى أن إسرائيل قد حقّقتها جميعاً دون استثناء من خلال الحرب أولاً ومن خلال نتيجتها القرار ١٧٠١ والذي وافق عليه حزب ا أيضاً (التذرع بأن الحكومة هي من وافق عليها أمر ساقط لأن الجميع يعلـم أن لا أحد عليه سلطة على الحزب في لبنان، وبدون موافقته سواء عبر وزرائه في الحكومة أو عبر قيادته على الأرض لما كان تم التوصل إليه ، ولما شـاهدنا تطبيقا فعليا له على الأرض). أما الحديث عن أن حزب ا صمد أو نجح فـي تأخير دخول القوات الإسرائيلية إلى لبنان، فهذا تحوير لمجريات سير الأحداث، ليس ذلك معناه أن إسرائيل تمتلك جيشا قوياً، لكن معناه أن تفسير الإحداث قد تم تشويهه عمداً من قبل حزب ا للترويج لدعاية لا أساس لها من الصحة.

فحزب ا يروج انّه صمد ٣٣ يوماً، و مفهوم الصمود هنا ملتـبس جـداً، فهل يعني بالصمود بقاء عناصره على قيد الحياة؟ إذا كان هذا هو المعنى فانّـه يجب علينا أخذ أرقام القتلى بعين الاعتبار، فمن غير المعقـول أن تبـاد قـرى بأكملها ويقتل أكثر من ١٣٠٠ شخص ويقال هو بأنه انتصر ببقاء عناصـره، إذ أن إسرائيل ممكن لها أن تقتل مليون إنسان دون أية مشكلة، فكيف يكون انتصر إذا كانت من مهامه حماية الناس أو على الأقل هكذا كان يقول لهم (صـواريخنا تحمي لبنان).

أضف إلى ذلك أن مسألة تمديد الوقـت (أي ٣٣ يومـا)، كانـت لـصالح إسرائيل في المعادلة، فكلما طال الوقت اشتد الضغط على الحزب وليس علـى

---

(١٠٧) أنظر مقالنا: "الردع، توازن الرعب، النصر و الهزيمة في الحرب على لبنان"، علـي حسين باكير، صحيفة الخليج الاماراتية، ٧-٨-٢٠٠٦.

إسرائيل، و خلاله تقوم إسرائيل بقتل و تدمير اكبر عدد ممكن من البشر و البنية التحتية.

وبعيداً عن كل هذه المعطيات، فان الخبراء الحقيقيين يعرفون أن إسرائيل لم ترد اجتياح الجنوب إنما أخذت تعمل على تسخين نقاط التماس مع لبنان (خاصة في مثلث بنت جبيل، مارون الرأس، عيترون) إلى حين يتم الموافقة على مطلبها في نشر قوات دولية، وهو الأمر الذي يأخذ وقتاً طـويلاً نتيجـة للمفاوضـات الدبلوماسية في مجلس الأمن، وعليه فان الإسرائيليين لو أرادوا اجتياح الجنوب لدخلوه منذ اليوم الأول(١٠٨)، لكن ذلك كان سيعني أن عليهم الانتظار ٣٣ يومـاً في عمق أكثر من ٢٥ كلم داخل الأراضي اللبنانية، وبالتالي التعرض لخـسائر أكبر دون أي معنى أو حاجة لذلك، وإعطاء حزب ا نصراً مجانياً.

"أن إسرائيل لا تخوض معركة برية واسعة النطاق كما فعلـت عـام ١٩٨٢، وليس لدى إسرائيل أية نية أو رغبة في السيطرة على مناطق في لبنان أو احتلالها. لكن الهدف من العمليات البرية العسكرية الإسرائيلية هو صد وإبعاد تواجد حزب ا العسكري الذي تخندق وتحصن على امتداد الحدود، بغية تمكين الجيش اللبناني من توسيع السيادة اللبنانية لتطال أيضًا هذه المنطقة وذلك تمشيا مع قرار مجلس الأمن ١٥٥٩"(١٠٩).

الخطة الأساسية اعتمدت على تسخين الجبهة من خلال عدد قليل من الجنود يبلغ عدة آلاف، واستغلال الوقت للقيام بقصف مواقع تمركز صواريخ وراجمات

---

(١٠٨) نستطيع ان نعرف هذا من حجم الحشود ايضا، فقد حشدت اسرائيل على سبيل المثـال في عام ١٩٨٢ حوالي ١٢٠ الى ١٤٠ ألف جندي و دخلت بهم، مـع العلـم ان لـدى حزب ا حاليا اسلحة متطورة اكثر بكثير مما كان يملكه الفدائيون الفلسطينيون، لـذلك فان حشد عدة آلاف في البداية هو مؤشر على عدم وجود نية للاحتلال و انما التسخين و الضغط.

(١٠٩) موقع وزارة الخارجية الصهيونية بتاريخ ٢٥-٧-٢٠٠٦.

حزب ا ، وتدمير أكبر قدر ممكن من البنية التحتية اللبنانية، وتهجير الناس لتحقيق ضغط داخلي في لبنان، والتماس قوة مجموعات حزب ا الأرضية من خلال اشتباكات محدودة إلى حين تبلور شكل القرار من مجلس الأمن، فيحصل عندها الاجتياح ليكون الوقت الفاصل بين اجتياح القوات وصدور وتنفيذ وقف إطلاق النار قصيراً جداً. مما يؤكد ذلك تصريح اولمرت: "**إن دخول هذه القوات سوف يتم بصورة مدروسة وحذرة، ولن ننجر إلى أي مكان لا نريد دخوله**"(١١٠).

ما حصل فعلياً على الأرض يوافق طبيعة تحليلنا للأحداث، فقد أصدر رئيس الوزراء الصهيوني أولمرت قراراً في ١١-٨-٢٠٠٦ يأمر بموجبه بـ"**الاستعداد لشن هجوم بري في العمق اللبناني**"(١١١)، هذا يعني أن الحرب البرية لم تكن حقيقة قد بدأت قبل ذلك التاريخ. وبالفعل، فقد استطاعت إسرائيل خلال يومين احتلال كل المنطقة والوصول إلى تخوم الليطاني في اليوم الثالث، وقد اتّخذ مجلس الأمن بالإجماع القرار رقم ١٧٠١ الذي يدعو إلى إنهاء القتال بين "إسرائيل" وحزب ا ، ووافقت الحكومة اللبنانية على قرار مجلس الأمن في ٢٠٠٦/٨/١٢، ثم إسرائيل في ٢٠٠٦/٨/١٣، وكان قد تقرر أن يسري مفعول القرار بدءاً من يوم الاثنين ١٤ آب، الساعة الثامنة صباحاً.

و لم نر شيئاً بعد ذلك مما قاله حسن نصر ا على شاشة المنار في ٢٠٠٦/٨/١٢ من أن "**حزب ا سيقاتل ما دامت هناك قوات إسرائيلية في لبنان**". فبقيت القوات الإسرائيلية في لبنان إلى حين تم انتشار القوات الدولية والجيش اللبناني على الحدود معها. وصرحت وزيرة الخارجية الصهيونية ليفني في اليوم التالي لتصريح نصر ا "**إن إسرائيل لن تخرج من الجنوب قبل نشر القوات الدولية واللبنانية**" وهذا ما حصل!!

---

(١١٠) موقع وزارة الخارجية الصهيونية بتاريخ ٢٥-٧-٢٠٠٦.

(١١١) أنظر: http://news.hedayah.net/?xpage=view&EgyxpID=23947

بطبيعة الحال، فالخطّة الإسرائيلية لم تمـر بالمجـان، فـسقط لهـا قتلـى وتعرضت بلداتها لقصف، ولعل هذا هو السبب الرئيسي وراء مـا يقـال عـن محاسبات في الداخل الإسرائيلي، إذ أن إسرائيل تسعى دائماً لتقييم تجربتها تقييماً دقيقاً بعد كل معركة وتجري محاسبات عن الأخطاء التي ارتكبت والثغرات التي فتحت، بالإضافة إلى أن إسرائيل تتميز عن غيرها في كون داخلهـا الـسياسي مؤلفاً من حكومة ومعارضة.

ولا شك أن المعارضة تستغل أي هفوات تقع فيهـا الحكومـة مـن أجـل تضخيمها وإسقاط الحكومة أو إضعافها حتى لو أدت الحكومة هـدفها النهـائي، وهذا شق يدخل في إطار اللعبة الداخلية الإسرائيلية وعلينـا أن نأخـذه بعـين الاعتبار في مسائل كهذه.

من حق الحزب أن يستغل هذا ويروج لنفسه على أنه انتصر (لكـن يجـب علينا أن لا نقع في الفخ الإعلامي)، ولذلك نرى أن ما يستشهد به على اللبنانيين بانتصاره يأتي به من الصحافة الإسرائيلية فقط!!، فـي حـين أن المنتـصر لا يحتاج لإقناع شعبه ودولته بما يقوله غيره، وإن لم يمنع من الاستشهاد بما يقوله بين فينة وأخرى، وليس اعتماده حصرا!!

وللمفارقة، فان القرار ١٧٠١ أفاد كثيراً الدولة اللبنانية بعكس الاتفاقات التي كانت تتم بين حزب ا وإسرائيل والتي كانت تقوض من قوة الدولة وتزيد مـن حصة حزب ا فيها، فهذا القرار يقوي الدولة اللبنانية التي كان هناك مـصلحة لحزب ا والداعمين له كإيران وسوريا في إضعافها إلى أقصى درجـة حتـى يبقى الحزب هو الذي يحكم المعادلة.

فجيش لبناني قوي على الحدود قد يكون قادراً على الدفاع ولكنه لن يكـون قادراً على ابتزاز إسرائيل لصالح إيران أو سوريا فيما كان حزب ا يقوم بهذا الدور على الرغم من أن الطرفين - أي الجيش حالياً أو حـزب ا سـابقاً - يلعبان نفس الدور على الحدود ضد أي متسلل أو مشاغب.

وقد بدى أن حزب ا يستجدي إسرائيل بالعودة إلى تفـاهم نيـسان ١٩٩٦ مقابل موافقته على القرار الدولي ١٧٠١، إذ يقول نصر ا في كلمتـه حـول القرار ١٧٠١ في ٢٠٠٦/٨/١٢: "**ونؤكد على أن تفاهم نيسان عام ١٩٩٦ سيكون هو الإطار الحاكم لأي مواجهات ميدانية من هذا النوع، فأنا أؤكـد بـشكل طبيعـي التزامنا بتفاهم نيسان، وندعو العدو إلى الالتزام بهذا التفاهم"!!**[١١٢].

عملياً أدرك حزب ا أنه بعد هذه اللحظة لن يكون بإمكانه أن يشكّل رافعة للدور الإيراني والسوري من خلال وضعه على الحدود، فهو لن يكـون قـادراً على أن يكون على الحدود بعد اليوم، ولذلك كان يطرح موافقته مقابـل التـزام اتفاق نيسان ١٩٩٦ على أمل أن يبقى على الحدود ليفيد إيـران وسـوريا فـي المستقبل" و كأنه يقول لإسرائيل أبقوني على الحدود وأعدكم بـالالتزام بتفـاهم نيسان"!!

من الذي انتصر؟!

بغض النظر وسواء كانت الحرب نتيجة لاختطاف الجنـديين واسـتجلاب الحزب ومن ورائه سوريا وإيران الحرب على لبنان، أو أن إسرائيل اسـتغلّت الحدث وفاجأت حزب ا بردة فعلها فان النتيجة تبقى واضحة.

في استعراض مختصر، يستطيع أي إنسان أن يضع أمامه الوثيقة التأسيسية لحزب ا ومن ثم إلى جانبها جميع الاتفاقات التي حصلت بين إسرائيل وحزب ا بعد كل معركة ومنها اتّفاقـات تمـوز ١٩٩٣، نيـسان ١٩٩٦، الاتفاقـات الضمنية لعام ٢٠٠٠ والقرار ١٧٠١، ليرى بخلاصة من هو الرابح ومن هـو الخاسر.

لقد بدأ الحزب بشعار تحرير القدس، وزحفاً زحفاً حتى القدس، ولبيـك يـا أقصى، وإبادة إسرائيل، ثم تراجع إلى تحرير الأراضي اللبنانية، ثم تراجع إلـى

---

(١١٢) كلمة نصرا بخصوص الموافقة على القرار ١٧٠١ بتاريخ ١٢-٨-٢٠٠٦.

حماية المدنيين اللبنانيين، ثم تراجع إلى حماية الحدود الإسرائيلية "كمـا رأيـتم" تحت شعارات العقلانية والاعتدال والظروف و...الخ، ثم انكفأ إلى الدفاع، ثـم عمل على ضرب كل هذه المفاهيم وتزويرها من خلال طرح مفهوم مزور وهو "الردع" (أي أنه ردع إسرائيل ولذلك هي لا تهاجمه!!)، وذلك بعد تقديم تنـازل في كل مرحلة بدءاً من الاعتراف بالمدنيين الإسرائيليين بدايـة، ثـم بـالجنود الإسرائيليين داخل إسرائيل، ثم بالحدود الإسرائيلية، ثم بعـدم الـسماح لأحـد بالاعتداء على إسرائيل عبره، ومع كل تراجع كان يعمل على تسويق دعاية أنّه هزم إسرائيل ليغطي على التراجع، ويبدو أن الحزب قد صدق هذه الدعاية حول مفهوم "الردع" التي حققت مفعولاً كبيراً عند الناس التي بدأت تضرب المثل بـه في "هزيمة" إسرائيل، في حين كانت إسرائيل فرحة بمبدأ "قانون واحد، سـلاح واحد" الذي يوفّره وجود حزب ا على الحدود، كما أعجبتها سياسـة الحـزب المعتدلة والعقلانية والتهدئة والتزامه بالاتفاقات وقواعد اللعبة بين الطرفين.

و للمفارقة فإن هزائم الحزب ميدانياً تتناسـب طرديـاً مـع انتـصاراته الإعلامية، وهذا يدل على أنه كما ذكرنا وأكدنا أن الحزب مجرد آلـة إعلاميـة ودعائية ضخمة، فالذي يعرف خصائص وسائل الإعلام والدعاية يعلـم أنهـا لا تلتزم بمعايير واقعية، وعلى الرغم من ذلك تأكد وجهة نظرها من خلال دعايتها إذا كانت محترفة بغض النظر عن كونها صحيحة أم خاطئة، صادقة أو كذبة.

فعلى سبيل المثال وعلى الرغم من أن "التـدخين" يـؤدي إلـى أمـراض السرطان وإلى الموت في النهاية، إلا أن الإحصاءات تـشير إلـى أن الدعايـة للتدخين هي السبب الأساسي لزيادة عدد المدخنين على الرغم من أنهـا تـشمل تحذيرا!!

إذاً كلما كانت هزيمة حزب ا أكبر، كلما كان ادعاؤه تحقيق نـصر يـتم بشكل أكبر، ويمكنكم ترجمة النصر الإلهي والتاريخي والاستراتيجي فـي هـذه الحالة بأنها هزيمة ساحقة، وقد اعترف الأمين العام ضمنياً بذلك في قولـه: "لا

جولة ثانية من الحرب مع إسرائيل"!![113]، وعندما قال أيضاً: "**...لو علمنا أن عملية الأسر كانت ستقود إلى هذه النتيجة لما قمنا بها قطعا**"، فإذا كانت النتيجة نصراً إلهياً، تاريخياً، استراتيجيا كبيراً، فكيف يقول هذا التصريح؟! أم أن الصحيح أن الواقع آنذاك فور انتهاء الحرب مباشرة لم يكن يسمح له بادّعاء النصر، وعندما أدخل البلاد في دوامات سياسية تغطي على هزيمته وجاءت الأموال الإيرانية التي تم توزيعها على إتباعه، ودخلت إسرائيل في حملة المحاسبة الداخلية التي تكلمنا عنها، أصبحت البيئة المحيطة بالحزب مهيأة لإعلان مثل هذا النصر الإلهي الوهمي والدعاية له والترويج بمهرجانات وندوات ولقاءات!! (وإن كان الحزب ربح شيئاً في كل هذا فقد ربح الدعاية فقط وبهذا يكون حقق شقّا من أهدافه فيما يتعلق بالشعوب العربية ولكنه لن يدوم طويلا).

المتابع للسياق التحليلي، يستطيع أن يفهم بكل بساطة أسباب تحرك الحزب حالياً على الصعيد السياسي الداخلي للإطاحة بالحكومة والتي من بينها بطبيعة الحال "المحكمة الدولية" الخاصة باغتيال الحريري التي تؤرق حلفاءه.

لكن من بين أهم الأسباب التي تدفع الحزب لهذا التحرك هو خسارته في الحرب، إذ انّه ونتيجة لهذه الحرب خسر مركزه على الحدود لصالح تواجد قوات دولية، وهذا يعني انّه قد تم إغلاق الجبهة وأن الدور الذي قام عليه الحزب بالأساس منذ إنشائه تعرض لخضه كبيرة إن لم نقل انتهى، ولم يعد باستطاعة الحزب الآن أن يشكّل رافعة للدور السوري أو الإيراني من خلال الجبهة؛ فالجبهة مغلقة ودوره بالتالي معطّل، لذلك ففرصته الوحيدة هي انقلاب داخلي يتيح له ولحلفائه السيطرة على مراكز صنع القرار اللبناني المؤثرة على أمل أن يؤدي ذلك مستقبلا إلى تغيير شيء من الواقع الذي أفرزته الحرب، فإن لم

(١١٣) مقابلة نصرا   مع تلفزيون الجديد في ٢٧-٨-٢٠٠٦.

يستطع تغيير شيء من الواقع على الحدود والاتفاقات، فإنه سيضمن على الأقـل موقعاً مهماً للطائفة الشيعية في السياسة اللبنانية فلا يخرج الحزب بهذه الطريقة بخفي حنين بعد انتهاء دور سلاحه إذا كان سيضطر إلى تسليمه لاحقـاً، ولكـن سينتهي دوره الخارجي، وسينحصر بسلاحه السياسي، حيث سيتّجه "البريـستيج المقاوم" بعدها إلى الخفوت، حيث أن مشروع حزب ا من دون كافة الأحزاب اللبنانية يقوم على مبدأ استغلال المقاومة للترويج لنفسه داخلياً. ولكـن عنـدما ينتهي هذا الوضع، سينتهي معه الدعم الخـارجي المـالي والعـسكري وبـذلك سيضطر الحزب إلى تغيير مشروعه وبرنامجه من "مقاومة" إلى شيء آخر لعلّه "الشفافية" أو "محاربة الفساد" أو غيرها من البرامج التي تتيح له الاستمرار فـي الحياة السياسية مع حصد جمهور عريض لتعويض الخسائر التي سـتلحق بـه نتيجة انتهاء مشروعه الأول الذي ظلّ يستغله لمصالح ذاتية وخارجية طوال ٢٥ سنة.

خـــاتمـة

في نهاية البحث لا بد لنا من كلمة مفيدة نطرح بها خلاصة ما تقدم.

"التشخيص الصحيح" للمسائل يساعدنا على حل المشاكل التي تمر بها الأمة والتي تكاد تستعصي على الحل نظراً للنهج الخاطئ المتّبع في صياغة الأحداث وتحليلها، وبالتالي فمن الطبيعي أن تؤدي المقدمات الخاطئة إلى نتائج خاطئـة، لهذا نرى أننا نتراجع دوما فيما غيرنا يتقدم.

إذا كان همنا الحصول على دعاية وإعلام وجمهور، فلا شك أن هذا عمـل سهل جدا مقارنة بمواجهة التحديات الكبيرة و الخطيرة و الجسيمة التي نمر بها.

وقد علّمونا في السابق أن نسمي خسارة الحرب "نكسة"، ودخلنا في حروب خاطئة لأهداف مضللة بعيدة عن الجوهر الحقيقي للمسألة، ولمآرب خاصة ليس لها علاقة بالشعارات و الواقع المطروح على الناس.

اليوم يتم تكرار المشهد من جديد، الهزائم تسمى "انتصارات"، فيما النتـائج على الأرض كارثة. ونجد أنفسنا في قلب مشاريع تسعى لتفتيتنـا أو الاسـتيلاء علينا والتغلغل بنا و نحن في غفلة من أمرنا!! التـشخيص الـسليم والمقـدمات السليمة توصل للنتائج السليمة، وبهذا نكون قد اتّخذنا الخطـوة الأولـى باتّجـاه مسيرة الألف ميل نحو حل المشاكل التي نعاني منها في العالم الإسلامي.

تسمية الأشياء بمسمياتها ليست عيباً ولا ضعفاً ولا تماهياً مع "العدو"، إنما مقدمة لاستيعاب الواقع في المرحلة الأولى.

حصر الموارد والقدرات و تنميتها في المرحلة الثانيـة، واتّخـاذ القـرار المناسب في المرحلة الثالثة ومن ثم الانطلاق نحو التنفيذ على الأرض فيكون ما يكون من تقييم للتجارب المطبقة، على أن نتيقن أننا في المـشروع و الطريـق الصحيحين.

الفهرس